(عليه السلام)
مقتل الإمام الحسين
وواقعة كربلاء

في تاريخ الطبري

برواية أبي مِخْنَف

المتوفى سنة ١٥٧ هـ

إعداد

حسان عبدالله ابو صالح **حسن عبدالله ابو صالح**

الإخراج وتصميم الغلاف

لبيب صندوق

١٤١٨ هـ ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

من رسالة الإمام الحسين(ع) إلى أهل البصرة ودعوتهم إلى نصرة الحق

بسم ا لله الرحمن الرحيم

أما بعد فإن ا لله اصطفى محمداً(ص) من خلقه وأكرمه بنبوتـه واختاره لرسالته ثم قبضه إليـه، وقـد نصح لعبـاده وبلّـغ مـا أرسل به(ص)، وكنا أهله وأوليائه وأوصيائه ووَرثتـه وأحـق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلـك فرضينـا، وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية، ونحـن نعلـم أنّـا أحـق بذلـك الحق المستحق علينا ممن تولاه، وقد بعثت رسولي إليكم بهـذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب ا لله وسنّة نبيّـه فـإن السـنّة قـد أميتت والبدعة قد أحييت فإن تسمعوا قـولي أهدكـم إلى سـبيل الرشاد.

والسلام عليكم ورحمة ا لله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾

آل عمران / ١٦٩

[حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً]

رسول الله (ص)

لقد نقل مقتل الإمام الحسين(ع) ووقعة كربلاء الكثير ممن عاشوا الحادثة، كما نُقل كثير منها عن الإمام الباقر(ع) وبقية الأئمة من أهل البيت(ع) الذين كانوا يعرفونها من خلال السيدة زينب(ع) ومن خلال الإمام علي بن الحسين(ع) ومن خلال النساء اللاتي حضرن في كربلاء ، ولعل من أوثق المصادر ماورد في تاريخ الطبري من مقتل أبي مخنف. وهذا الكتاب الماثل بين يديك الآن ـ أيها القارىء الكريم ـ ينقل إليك وقائع مقتل الإمام الحسين(ع) ووقعة كربلاء بالنص الموثق عن تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد ابن جرير ابن يزيد الطبري، المحدث الفقيه المؤرخ، علاّمة وقته ووحيد زمانه، الذي جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره. صاحب المصنفات الكثيرة ، منها :

التفسير الكبير ، والتأريخ الشهير ، وكتاب طرق حديث الغدير المسمى بكتاب الولاية، الذي قال فيه الذهبي: إني وقفت عليه فاندهشت لكثرة طرقه. وقال ابن خلكان عن الطبري : إنه كان ثقة في نقله ، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها.

كانت ولادته بآمل طبرستان سنة ٢٢٤ هـ وتوفى سنة ٣١٠ هـ في بغداد ، وعمره ٨٦ سنة. وقد نقل الطبري في تأريخه وقائع كربلاء ومقتل الإمام الحسين(ع) برواية لوط ابن يحيى بن مخنف بن سليمان الأزدي ، أبي مخنف الذي توفى سنة ١٥٧ هـ وكان راوية اخبارياً، وصاحب تصانيف ومن تصانيفه: (كتاب الردة)، (فتوح الشام) ، (فتوح العراق)، كتاب (وفاة معاوية ، وولاية يزيد ، ووقعة الحرة ، ومقتل عبدا لله بن الزبير)، كتاب (مقتل الحسين(ع)) كتاب (الخوارج والمهلب بن أبي صفرة) وله غير ذلك من الفتوحات والتصانيف الكثير.

وا لله من وراء القصد

الناشر

ثم دخلت سنة إحدى وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مَقتَل الحسين رضوان الله عليه ، قُتل فيها فى المحرّم لعشر خلوْن منه ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت، قال : حدّثنى مُحدّث ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدىّ وهشام بن الكلبىّ ؛ وقد ذكرْنا ابتداءَ أمر الحسين فى مسيره نحوَ العراق وما كان منه فى سنة ستين ، ونذكر الآن ما كان من أمره فى سنة إحدى وستين وكيف كان مَقتلُه .

حُدّثت عن هشام ، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى أبو جناب ، عن عدىّ بن حرملة ، عن عبد الله بن سليم والمذرى بن المشمعلّ الأسديّين قالا : أقبل الحسين عليه السلام حتى نزل شَراف ، فلما كان فى السَّحَر أمر فتيانَه فاستقَوْا من الماء فأكثَروا، ثم ساروا منها، فرسموا صدرَ يومهم حتى انتصف النهار . ثم إنّ رجلاً قال : الله أكبر! فقال الحسين : الله أكبر ما كبَّرتَ[1] ؟ قال : رأيتُ النخل، فقال له الأسديان : إنّ هذا المكان ما رأينا به نخلةً قطّ ؛ قالا : فقال لنا الحسين : فما تَرَيانه رأى ؟ قلنا : نراه رأى هَوادِىَ الخيل ؛ فقال: وأنا والله أرى ذلك ؛ فقال الحسين : أمَا لنا ملجأ نلجأ إليه ، نجعله فى ظهورنا ، ونستقبل القومَ من وجه واحد؟ فقلنا له : بلى، هذا ذو حُسُمٍ إلى جنبك ، تَميل إليه عن يسارك ، فإن سبقتَ القوم إليه فهو كما تريد ؛ قالا : فأخذ إليه ذاتَ اليسار ؛ قالا : وملنا معه فما كان بأسرع من أن طلعتْ علينا هوادى الخيل ، فتبينّاها ، وعدنا ، فلما رأونا وقد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأنّ أسنّتهم اليعاسيب ، وكأنّ راياتهم أجنحة الطير ، قال : فاستبقنا إلى ذى حُسُم ، فسبقناهم إليه ، فنزل الحسين ، فأمر بأبنيته فضُربتْ، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الُحرّ بن يزيد التميمىّ اليربوعىّ حتى وقف هو وخيله مقابلَ الحسين فى حَرّ الظَّهيرة ، والحسين وأصحابه معتمّون متقلدو أسيافهم ، فقال

(١) ابن الأثير : « مم كبرت ؟ » .

الحسين لفتيانه : اسقوا القوم وأرووهم من الماء ورشّفوا الخيل ترشيفاً ، فقام فتيانه فرشّفوا الخيل ترشيفاً ، فقام فتية وسقَوا القوم من الماء حتى أرووهم ، وأقبلوا يملئون القصاع والأتوار[1] والطِّساس من الماء ثم يُدنونها من الفرَس ، فإذا عبَّ فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُزلتْ عنه ، وسقَوا آخَرَ حتى سقَوا الخيلَ كلَّها .

قال هشام : حدّثنى لقيط ، عن علىّ بن الطّعان المحاربىّ : كنت مع الُحرّ بن يزيد ، فجئت فى آخر مَن جاء من أصحابه ، فلما رأى الحسينُ ما بى وبفرسى من العطش قال : أنِخ الرّاوية — والراوية عندى السقاء — ثم قال : يابن أخِ ، أنِخ الجمل ، فأنختُه ، فقال : اشربْ ، فجعلت كلما شربتُ سال الماء من السقاء ، فقال الحسين : اخنث السقاء — أى اعطفه — قال : فجعلتُ لا أدرى كيف أفعل ! قال : فقام الحسين فخنَثَه ، فشربتُ وسقَيتُ فرَسى . قال : وكان مجىء الُحرّ بن يزيد ومسيره إلى الحسين من القادسيّة ، وذلك أنّ عبيد الله بن زياد لما بلغه إقبالُ الحسين بعث الحصين ابن تميم التميمىّ — وكان على شُرَطه — فأمَرَه أن ينزل القادسيّة ، وأن يضع المسَالحَ فينظم ما بين القُطْقطانة إلى خفّان ، وقدّم الُحرّ بن يزيد بين يديه فى هذه الألف من القادسيّة ، فيستقبل حسيناً . قال : فلم يزل موافقاً حسيناً حتى حضرت الصّلاة صلاة الظهر ، فأمر الحسين الحجّاج بن مسروق الجعفىّ أن يؤذّن ، فأذّن ، فلمّا حضرت الإقامة خرج الحسين فى إزار ورداء ونعلين ، فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ثم قال : أيّها الناس ، إنها معذرة إلى الله عزّ وجلّ وإليكم ؛ إنّى لم آتِكم حتى أتتْنى كُتُبكم ، وقدمتْ علىّ رُسُلكم : أن اقدمْ علينا ، فإنه ليس لنا إمام ، لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى ؛ فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم ، فإن تُعطونى ما أطمئنُّ إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصرَكم ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقْدمى كارهين انصرفتُ عنكم إلى المكان الذى أقبلتُ منه إليكم . قال : فسكتوا عنه وقالوا للمؤذّن : أقِم ، فأقام الصلاة ، فقال الحسين عليه السلام للحُرّ : أتريدُ أن تصلّى بأصحابك ؟ قال : لا ، بل

(١) الأتوار : جمع تور ؛ وهو إناء من صفر أو حجارة .

تصلّي أنت ونصلّي بصلاتك ؛ قال : فصلّى بهم الحسين ، ثم إنه دخل واجتمع إليه أصحابه ، وانصرف الحُرّ إلى مكانه الذى كان به ، فدخل خَيْمة قد ضُربت له ، فاجتمع إليه جماعة من أصحابه ، وعاد أصحابه إلى صفّهم الذى كانوا فيه ، فأعادوه ، ثم أخذ كلّ رجل منهم بعنان دابّته وجلس فى ظلها ، فلما كان وقت العصر أمر الحسين أن يتهيئوا للرّحيل . ثم إنه خرج فأمر مناديه فنادى بالعصر ، وأقام فاستقدم الحسين فصلى بالقوم ثم سلم ، وانصرف إلى القوم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضَى لله ، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم ، والسائرين فيكم بالجوْر والعدوان ، وإن أنتم كرهتمونا ، وجهلتم حقنا ، وكان رأيكم غيرَ ما أتتنْى كتبكم ، وقدمتْ به علىّ رُسُلكم ، انصرفتُ عنكم ، فقال له الُحرّ بن يزيد : إنّا والله ما ندرى ما هذه الكُتُب التى تذكر ! فقال الحسين : يا عقبة بن سِمْعان ، أخرج الخرجَيْن اللّذَين فيهما كتبهم إلىّ ، فأخرج خرْجين مملوءين صُحُفًا ، فنشرها بين أيديهم ؛ فقال الُحرّ : فإنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك ، وقد أمِرنا إذا نحن لقيناك ألاّ نفارقَك حتى نُقدمك على عبيد الله بن زياد ؛ فقال له الحسين : الموتُ أدنَى إليك من ذلك ، ثم قال لأصحابه : قوموا فاركبوا ، فركبوا وانتظروا حتى ركبتْ نساؤهم ، فقال لأصحابه : انصرفوا بنا ، فلما ذهبوا لينصرفوا حالَ القومُ بينهم وبين الانصراف ، فقال الُحسين للحر : ثكلتْك أمُّك ! ما تريد ؟ قال : أما والله لو غيرُك من العرب يقولها لى وهو على مثل الحال التى أنت عليها ما تركتُ ذكْر أمه بالثُّكْل أن أقوله كائنًا مَن كان ، ولكنْ والله ما لى إلى ذكْر أمّك من سبيل إلاّ بأحسن ما يقدَر عليه ؛ فقال له الحسين : فما تريد ؟ قال الُحرّ : أريد والله أن أنطلق بك إلى عُبيد الله بن زياد ، قال له الحسين : إذن والله لا أتْبعك ؛ فقال له الُحرّ : إذن والله لا أدَعك ؛ فترادّا القولَ ثلاثَ مرّات ، ولما كثُر الكلامُ بينهما قال له الحرّ : إنّى لم أومَر بقتالك ، وإنما أمِرت ألاّ أفارقَك حتى أقدمَك الكُوفة ، فإذا أبيتَ فخذ طريقًا لا تُدخلك الكوفة ، ولا تردّك إلى المدينة ،

تكون بيني وبينك نصفًا حتى أكتب إلى ابن زياد ، وتكتب أنتَ إلى يزيدَ ابن معاوية إن أردتَ أن تكتب إليه ، أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئتَ ، فلعلّ الله إلى ذاك أن يأتيَ بأمر يرزقني فيه العافية من أن ابتلَى بشيء من أمرك ؛ قال : فخذ هاهنا فتياسرْ عن طريق العُذَيْب والقادسيّة ، وبينه وبين العُذَيب ثمانية وثلاثون ميلا. ثمّ إنّ الحسين سار في أصحابه والحُرّ يسايره .

قال أبو مخنف : عن عقبة بن أبي العَيزار ، إنّ الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحُرّ بالبيضة ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أيها الناس ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى سلطانًا جائراً مستحلاًّ لحُرَم الله ، ناكثًا لعهد الله ، مخالفًا لسنة رسول الله ، يَعمل في عباد الله بالإثم والعُدوان ، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول ، كان حقًّا على الله أن يُدخله مُدخَله . » ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرّحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلّوا حرام الله ، وحرّموا حلالَه ، وأنا أحقّ من غَيّر ، قد أتتْني كتبكم ، وقدمتْ عليّ رُسُلكم ببيعتكم ؛ أنكم لا تُسلموني ولا تخذُلوني ، فإنْ تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدَكم ، فأنا الحسين بنُ عليّ ، وابن فاطمةَ بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نفسي مع أنفسكم ، وأهلي مع أهليكم ، فلكم فيَّ أسْوة ، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم ، وخلعتُم بيعَتي من أعناقكم ، فلعَمْري ما هي لكم بنُكْر[1] ، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم ، والمغرور من اغترّ بكم ، فحظّكم أخطأتم ، ونصيبكم ضيعتم ، ومَن نكث فإنما يَنكُث على نفسه ، وسيُغني الله عنكم ، والسلام عليكم ورحمةُ الله وبركاته .

وقال عقبة بن أبي العَيزار : قام حسينٌ عليه السلام بذي حُسُم ، فحَمِد اللهَ وأثنى عليه ثمّ قال : إنه قد نزل من الأمر ما قد تروْن ، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكرت ، وأدبر معروفُها واستمرّت جدًّا ، فلم يَبقَ منها إلا صُبابة

---

(١) ابن الأثير : « بنكير » .

كصُبابة الإناء ، وخسيسُ عيشٍ كالمَرعَى الوَبيل . آلا ترون أنّ الحق لا يُعْمَل به ، وأنّ الباطل لا يُتناهَى عنه! ليرغب المؤمن فى لقاء الله مُحقًّا ، فإنى لا أرى الموت إلا شهادة ، ولا الحياة مع الظالمين إلا بَرَمًا .

قال : فقام زهير بن القَيْن البَجَلى فقال لأصحابه : تَكلَّمون أم أتكلم ؟ قالوا : لا ، بل تكلم ؛ فحَمِد اللهَ فأثنَى عليه ثم قال : قد سمِعنا هَداك الله يابنَ رسول الله مقالتَك ، والله لو كانت الدنيا لنا باقية ، وكنا فيها مخلَّدين ، إلا أنّ فراقها فى نصرك ومواساتك ، لآثرْنا الخروجَ معك على الإقامة فيها .

قال : فدعا له الحسين ثم قال له خيراً ؛ وأقبل الحُرّ يسايره وهو يقول له : ياحسين ، إنى أذكّرك اللهَ فى نفسك ، فإنّى أشهد لئن قاتلتَ لتُقتلن ، ولئن قوتلتَ لتهلكنّ فيما أرى ؛ فقال له الحسين : أفبالموت تخوّفنى ! وهل يعدو بكم الخَطْب أن تقتلونى ! ما أدرى ما أقول لك ! ولكن أقول كما قال أخو الأوْس لابن عمه ، ولقيَه وهو يريد نُصرةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أين تذهب ؟ فإنك مقتول ؛ فقال :

سأمضِى وما بالموتِ عارٌ على الفتَى ... إذا ما نَوَى حقًّا وجاهدَ مسلمَا
وآسى الرجالَ الصالِحينَ بنفسِه ... وفارق مثبورًا يَغُشُّ ويُرْغما[1]

قال : فلما سمع ذلك منه الحُرّ تنحّى عنه ، وكان يسير بأصحابه فى ناحية وحسين فى ناحية أخرى ، حتى انتهَوا إلى عُذيب الهِجانات ، وكان بها هِجائن النعمان تَرعَى هنالك ، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم ، يجنبُون فرسًا لنافع بن هلال يقال له الكامل ، ومعهم دليلُهم الطِّرِمّاح بن عدىّ على فرسه ، وهو يقول :

---

(١) كذا فى ط ، وقبل البيت فى ابن الأثير :

وواسَى رِجالًا صَالِحين بنَفْسِهِ ... وخالف مَثْبُورًا وفَارَق مجْرِما

وذكر بعده :

فإن عِشْتُ لمْ أنْدمْ وإنْ مِتّ لمْ أُلَمْ ... كَفَى بك ذُلًّا أن يعيش وترغَما

ياناقتي لا تُذعَرِي من زَجْرِي وشمّري قبلَ طلوعِ الفَجْرِ
بخير رُكْبانٍ وخير سَفْرِ حتّى تَحِلّي بكريم النَّجْرِ
الماجدِ الحرِّ رَحيبِ الصدرِ أتى به اللهُ لخيرِ أمْرِ

* ثُمّتَ أبقاه بقاءَ الدّهرِ *

قال : فلما انتهوا إلى الحسين أنشدوه هذه الأبيات ، فقال : أما والله إني لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا ، قُتلنا أم ظفرنا ؛ قال : وأقبل إليهم الحرّ بن يزيدَ فقال : إن هؤلاء النفرَ الذين من أهل الكوفة ليسوا ممن أقبل معك ، وأنا حابسهم أو رادّهم ، فقال له الحسين : لأمنعنّهم مما أمنع منه نفسي ، إنما هؤلاء أنصاري وأعواني ، وقد كنتَ أعطيتني ألّا تعرض لي بشيء حتى يأتيك كتاب من ابن زياد ، فقال : أجلْ ، لكن لم يأتوا معك ؛ قال هاهم أصحابي ، وهم بمنزلة من جاءَ معي ، فإن تممتَ على ما كان بيني وبينك وإلا ناجزتُك ؛ قال : فكفَّ عنهم الحرّ ؛ قال: ثمّ قال لهم الحسين : أخبروني خبرَ الناس وراءكم ، فقال له مجمّع بن عبد الله العائذيّ ، وهو أحد النّفرَ الأربعة الذين جاءوه : أما أشراف الناس فقد أعظِمتْ رشوتُهم ، ومُلئت غرائرُهم ، يُستمال ودّهم ، ويستخلص به نصيحتهم ، فهم ألْبٌ واحدٌ عليك ، وأما سائر الناس بعد ، فإنّ أفئدتهم تهوي إليك ، وسيوفَهم غداً مشهورةٌ عليك ؛ قال : أخبرُوني ، فهل لكم برسولي إليكم ؟ قالوا : من هو ؟ قال : قيس بن مُسْهِر الصيْداويّ ؛ فقالوا : نعم ، أخذه الحصين ابن تميم فبعث به إلى ابن زياد ، فأمره ابنُ زياد أن يلعنك ويلعنَ أباك ، فصلى عليك وعلى أبيك ، ولعَن ابنَ زياد وأباه ، ودعا إلى نُصْرتك ، وأخبرهم بقدومك ، فأمر به ابن زياد فأُلقيَ من طمار القصر ؛ فترقرقتْ عينا حُسين عليه السلام ولم يملك دمعه ، ثم قال: ﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ . اللهمّ اجعلْ لنا ولهم الجنة نُزُلا ، واجمع بيننا وبينهم في مستقرّ من رحمتك ، ورغائب مذخور ثوابك !

قال أبو مخنف : حدّثني جميل بن مَرْثد من بنى مَعْن، عن الطرمّاح ابن عدىّ ، أنه دنا من الحسين فقال له : والله إنى لأنظر فما أرى معك أحداً، ولو لم يقاتلْك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازِميك لكان كَفى بهم ؛ وقد رأيتُ قبل خروجى من الكوفة إليك بيوم ظهرَ الكوفة وفيه من الناس ما لم تَرَ عيناى فى صعيد واحد جَمْعا أكثر منه ، فسألت عنهم ، فقيل : اجتَمعوا ليُعرَضوا ، ثم يسرَّحون إلى الحسين ، فأنشدُك اللهَ إن قدرتَ على ألاّ تقدم عليهم شبراً إلاّ فعلت ! فإن أردتَ أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك، ويستبين لك ما أنت صانع ، فسرْ حتى أنزلك مَناع جبلنا الذى يُدعَى أجَأ ، امتنعْنا والله به من ملوك غسّانَ وحِمْيَر ومن النعمان بن المنذر ، ومن الأسود والأحمر[1] ، والله إن دخل علينا ذلّ قطُّ ؛ فأسير معك حتى أنزلك القُرَيَّة ، ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجَأ وسَلمَى من طيّئ ، فوالله لا يأتى عليك عشرة أيام حتى تأتيَك طيّئ رجالاً ورُكباناً، ثم أقم فينا ما بدا لك ، فإن هاجك هَيْج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائىّ يَضربون بين يديك بأسيافهم ، والله لا يُوصَل إليك أبداً ومنهم عين تَطرف ؛ فقال له : جزاك الله وقومَك خيراً ! إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف ، ولا ندرى علامَ تَنصرف بنا وبهم الأمورُ فى عاقِبِه !

قال أبو مخنف : فحدّثنى جميل بن مَرْثَد ، قال : حدّثنى الطِّرِمّاح ابن عَدىّ ، قال : فودّعتُه وقلتُ له : دفع الله عنك شرّ الجن والإنس، إنّى قد امترتُ لأهلى من الكوفة ميرةً ، ومعى نفقة لهم، فآتيهم فأضع ذلك فيهم ، ثمّ أُقبل إليك إن شاء الله، فإن ألحقك فوالله لأكوننّ من أنصارك؛ قال : فإن كنتَ فاعلاً فعجِّلْ رحمك الله ؛ قال : فعلمتُ أنه مستوحشٌ إلى الرجال حتى يسألنى التعجيل ؛ قال : فلما بلغتُ أهلى وضعتُ عندهم ما يصلحهم ، وأوصيت ، فأخذ أهلى يقولون : إنك لتصنع مَرّتَك هذه شيئًا ما كنتَ

(١) ابن الأثير : « الأحمر والأبيض » .

تصنعه قبل اليوم ، فأخبرتُهم بما أريد ، وأقبلتُ فى طريق بنى ثُعَل حتى إذا دنوتُ من عُذَيب الهجانات ، استقبلنى سَماعة بن بدر ، فنعاه إلىّ ، فرجعت ؛ قال : ومضى الحسين عليه السلام حتى انتهى إلى قصر بنى مقاتل ، فنزل به ، فإذا هو بفُسطاط مضروب .

قال أبو مخنف : حدّثنى المجالد بن سعيد ، عن عامر الشّعبىّ ، أنّ الحسين بن علىّ رضى الله عنه قال : لمَن هذا الفسطاط ؟ فقيل : لعبيد الله ابن الُحرّ الجعفىّ ؛ قال : ادعوه لى ، وبَعَثَ إليه ، فلما أتاه الرسول، قال : هذا الحسين بن علىّ يدعوك ؛ فقال عبيد الله بن الحُرّ : إنّا لله وإنا إليه راجعون! والله ما خرجتُ من الكوفة إلا كراهة أن يدخلها الحسين وأنا بها ، والله ما أريد أن أراه ولا يرانى ، فأتاه الرسولُ فأخبَرَه ، فأخذ الحسين نعليْه فانتعل ، ثم قام فجاءه حتى دخل عليه ، فسلّم وجلس ، ثمّ دعاه إلى الخروج معه ، فأعاد إليه ابن الُحرّ تلك المقالة ، فقال : فإلا تنصرْنا فاتّق الله أن تكونَ ممّن يقاتلنا ، فوالله لا يسمع واعيتَنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك ؛ قال : أمّا هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله . ثم قام الحسين عليه السلام مِن عنده حتى دخل رَحلَه .

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الرحمن بن جُنْدُب ، عن عقبة بن سِمْعان قال : لما كان فى آخر الليل أمر الحسين بالاستقاء من الماء ، ثم أمَرَنا بالرحيل؛ ففعلْنا ؛ قال : فلما ارتحلنا من قصر بنى مقاتل وسرْنا ساعةً خفق الحسين برأسه خَفْقة ، ثم انتبه وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله ربّ العالمين ؛ قال : ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثًا ، قال : فأقبل إليه ابنُه علىّ بن الحسين على فرس له فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله ربّ العالمين ، يا أبتِ ، جُعلْت فداك ! مِمّ حمِدتَ اللهَ واسترجعتَ؟ قال : يا بنىّ ، إنى خفقتُ برأسى خَفْقةً فعنّ لى فارس على فرس فقال : القوم يسيرون والمنايا تَسرِى[1] إليهم ، فعلمتُ أنها أنفسُنا نُعِيَتْ إلينا ، قال له : يا أبتِ ،

(١) ابن الأثير : « تسير » .

لا أراك الله سوءاً ، ألسْنا على الحقّ ! قال : بلى والذى إليه مرجع العباد ؛ قال : يا أبت ، إذاً لا نبالى ؛ نموت محقّين ؛ فقال له : جزاك الله من ولَد خيرَ ما جزَى ولَداً عن والده؛ قال : فلما أصبح نزل فصلى الغداة ، ثمّ عجّل الركوب ، فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم ، فيأتيه الحُرّ بن يزيدَ فيردّهم فيردّه ، فجعل إذا ردّهم إلى الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا، فلم يزالوا يتسايرون حتى انتهوا إلى نينَوَى؛ المكان الذى نزل به الحسين ؛ قال : فإذا راكبٌ على نجيب له وعليه السلاح متنكّب قوسًا مُقبلٌ من الكوفة ، فوقفوا جميعًا ينتظرونه ، فلما انتهى إليهم سلّم على الحُرّ بن يزيد وأصحابه ، ولم يسلّم على الحسين عليه السلام وأصحابه ، فدفع إلى الحُرّ كتابًا من عبيد الله ابن زياد فإذا فيه : أما بعد ، فجَعْجِع(1) بالحسين حين يبلغُك كتابى ، ويَقدُم عليك رسولى ، فلا تُنزله إلا بالعَراء فى غير حصن وعلى غير ماء ، وقد أمرتُ رسولى أن يَلزمَك ولا يفارقك حتى يأتيَنى بإنفاذك أمرى ؛ والسلام .

قال : فلما قرأ الكتاب قال لهم الحرُّ : هذا كتاب الأمير عُبيد الله بن زياد يأمرنى فيه أن أجعجِع بكم فى المكان الذى يأتينى فيه كتابُه ، وهذا رسوله، وقد أمره ألا يفارقنى حتى أنفِذ رأيَه وأمرَه ، فنظر إلى رسول عُبيد الله يزيدُ ابن زياد بن المهاصِر أبو الشعثاء الكِنْدىّ ثم البهدلىّ فعنّ له ، فقال : أمالك بن النُّسير البَدّىّ ؟ قال : نعم — وكان أحد كِنْدة — فقال له يزيد ابنُ زياد : ثكلتْك أمك ! ماذا جئتَ فيه ؟ قال : وما جئتُ فيه ! أطعتُ إمامى ، ووفيتُ ببيْعتى ، فقال له أبو الشعثاء : عصيتَ ربَّك ، وأطعتَ إمامك فى هلاك نفسك ، كسبت العـار والنار ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾(2) ، فهو إمامك . قال : وأخذ الحرُّ بن يزيدَ القوم بالنزول فى ذلك المكان على غير ماء ولا فى قرية ، فقالوا : دعْنا ننزلْ فى هذه القرية ، يعنون نينَوَى —

(1) أورد الخبر فى اللسان وقال فى شرحه : « أى أزعجه وأخرجه ، وقال الأصمعى : يعنى أحبسه » .

(2) سورة القصص : 32 .

أو هذه القرية — يعنون الغاضريّة — أو هذه الأخرى — يعنون شُفَيّة .
فقال : لا والله ما أستطيع ذلك ، هذا رجل قد بُعث إلىّ عينًا ، فقال له زهير بن القيْن : يابن رسول الله ، إنّ قتال هؤلاء أهوَن من قتال من يأتينا من بعدهم ، فلَعَمرى ليأتينا من بَعدُ مَن ترى ما لا قِبَل لنا به ؛ فقال له الحسين : ما كنتُ لأبدأهم بالقتال ؛ فقال له زهير بن القين : سرْ بنا إلى هذه القرية حتى تَنزلها فإنها حصينة ، وهى على شاطئ الفرات ، فإنْ منعونا قاتلْناهم ، فقتالُهم أهوَنُ علينا من قتال من يجىء من بعدهم ؛ فقال له الحسين : وأية قرية هى ؟ قال : هى العَقْر ، فقال الحسين : اللهم إنى أعوذ بك من العَقْر ، ثم نزل ، وذلك يوم الخميس ، وهو اليوم الثانى من المحرّم سنة إحدى وستين . فلما كان من الغد قدم عليهم عمرُ بن سعد بن أبى وقّاص من الكوفة فى أربعة آلاف . قال : وكان سبب خروج ابن سعد إلى الحسين عليه السلام أن عبيد الله بن زياد بعثه على أربعة آلاف من أهل الكُوفة يسير بهم إلى دَسْتَبَى ، وكانت الديلَم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها ، فكتب إليه ابنُ زياد عهدَه على الرّىّ ، وأمَرَه بالخروج .

فخرج معسكِراً بالناس بحمّام أعيَن ، فلمّا كان من أمر الحسين ما كان وأقبل إلى الكوفة دعا ابنُ زياد عمرَ بن سعد، فقال : سرْ إلى الحسين، فإذا فرغنا مما بيننا وبينه سرتَ إلى عملك ؛ فقال له عمر بن سعد : إنْ رأيتَ رحمك الله أن تُعفيَنى فافعل ؛ فقال له عبيد الله : نعم، على أن تردّ لنا عهدَنا ؛ قال : فلما قال له ذلك قال عمر بن سعد : أمهلْنى اليومَ حتى أنظرَ ؛ قال : فانصرف عمر يستشير نُصَحاءه ، فلم يكن يستشير أحداً إلا نهاه ؛ قال : وجاء حمزة ابن المغيرة بن شعبة — وهو ابن أخته — فقال : أنشُدكَ الله يا خال أن تسيرَ إلى الحسين فتأثم بربّك ، وتقطعَ رحِمَك ! فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلّها لو كان لك ، خيرٌ لك من أن تلقَى اللهَ بدم الحسين ! فقال له عمر بن سعد : فإنى أفعل إن شاء الله .

قال هشام : حدّثنى عَوانة بن الحكَم ، عن عمّار بن عبد الله بن يسار

الجُهَنىّ ، عن أبيه ، قال: دخلتُ على عمَر بن سعد،وقد أُمِر بالمسير إلى الحسين ، فقال لى : إن الأمير أمرنى بالمسير إلى الحسين ، فأبيتُ ذلك عليه ، فقلتُ له : أصاب الله بك ، أرشَدَك الله ، أجِلْ فلا تفعل ولا تَسِرْ إليه . قال : فخرجتُ من عنده ، فأتانى آتٍ وقال : هذا عمر بن سعد يَنْدُب الناسَ إلى الحسين ؛ قال : فأتيتُه فإذا هو جالس ، فلما رآنى أعرَض بوجهه فعرفتُ أنه قد عزم على المسير إليه ، فخرجتُ من عنده ؛ قال : فأقبل عمر ابن سعد إلى ابن زياد فقال : أصلحك الله ! إنك ولَّيتَنى هذا العمل، وكتبت لىَ العهد ، وسَمع به الناسُ ، فإن رأيتَ أن تنفذ لى ذلك فافعلْ وابعثْ إلى الحسين فى هذا الجيش مِن أشراف الكوفة مَن لستُ بأغنى ولا أجزأ عنك فى الحرب منه ؛ فسمّى له أناسًا ، فقال له ابن زياد : لا تُعلِمنى بأشراف أهل الكُوفة ، ولست أستأمرك فيمن أريد أن أبعث . إن سرتَ بجندنا ، وإلا فابعث إلينا بعهدنا ، فلما رآه قد لجّ قال : فإنى سائر ؛ قال : فأقبل فى أربعة آلاف حتى نزل بالحسين من الغد من يوم نزل الحسين نِينوَى .

قال : فبعث عُمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام عَزْرة بن قيس الأحمَسىّ ، فقال : ائته فسَلْه ما الّذى جاء به ؟ وماذا يريد ؟ وكان عزرة ممن كتب إلى الحسين فاستحيا منه أن يأتيَه . قال : فعرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه ، فكلُّهم أبى وكرهه .قال : وقام إليه كثير بن عبد الله الشعبىّ — وكان فارسًا شجاعًا ليس يرُدّ وجهَه شىءٌ — فقال : أنا أذهب إليه ، والله لئن شئتَ لأفتكَنّ به ، فقال له عمر بن سعد : ما أريد أن يُفتَك به ، ولكن ائته فسَلْه ما الذى جاء به ؟ قال : فأقبل اليه ، فلما رآه أبو ثمامة الصائدىّ قال للحسين: أصلحك الله أبا عبد الله ! قد جاءك شرُّ أهل الأرض وأجرؤه على دم وأفتكه ، فقام إليه ، فقال : ضَعْ سيفَك ؛ قال : لا والله ولا كرامة ، إنما أنا رسول، فإن سمعتم منى أبلغتُكم ما أرسِلتُ به إليكم ، وإن أبيتم انصرفتُ عنكم ؛ فقال له : فإنى آخذٌ بقائم سيفك ، ثم تكلمُ بحاجتك ، قال : لا والله ، لا تمسّه فقال له : أخبرنى ما جئتَ به وأنا أبلغه عنك ، ولا أدعُك تدنو منه ، فإنك فاجر ؛ قال : فاستبّا ، ثم انصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر ؛ قال :

فدعا عمر قرّة بن قيس الحنظليّ فقال له : وَيحْك يا قرّة ! القَ حسيناً فسَلْه ما جاء به ؟ وماذا يريد ؟ قال : فأتاه قرّة بن قيس ، فلما رآه الحسين مقبلا قال : أتعرفون هذا ؟ فقال حبيب بن مُظاهر : نعم ، هذا رجل من حنظلة تميميّ ، وهو ابن أختنا ، ولقد كنتُ أعرفه بحسُن الرأى ،وما كنتُ أراه يشهد هذا المشهد ؛ قال : فجاءَ حتى سلّم على الحسين ، وأبلغه رسالةَ عمر بن سعد إليه له ، فقال الحسين : كتب إلىّ أهلُ مصركم هذا أنْ اقدَم ، فأما إذ كَرهونى فأنا أنصرف عنهم؛ قال: ثم قال له حبيب بن مظاهر : وَيْحك يا قرة ابن قيس ! أنَّى ترجع إلى القوم الظالمين ! انصرْ هذا الرجل الذى بآبائه أيّدك الله بالكرامة وإيّانا معاك ؛ فقال له قرّة : أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته ، وأرَى رأيي ؛ قال : فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر ، فقال له عمر بن سعد : إنى لأرجو أن يعافيَنى الله من حربه وقتاله .

قال هشام ، عن أبي مخنف ، قال : حدّثنى النضر بن صالح بن حبيب ابن زهير العبسيّ، عن حسان بن فائد بن بكير العبسيّ(1)، قال: أشهد أن كتاب عمر بن سعد جاء إلى عبيد الله بن زياد وأنا عنده فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد ، فإنى حيث نزلتُ بالحسين بعثتُ إليه رسولى ، فسألتُه عما أقدَمَه ، وماذا يطلب ويسأل ، فقال : كتب إلىّ أهلُ هذه البلاد وأتتْنى رسُلهم ، فسألونى القدومَ ففعلت ؛ فأما إذ كرهونى فبدَا لهم غير ما أتتْنى به رُسُلهم فأنا منصرفٌ عنهم ، فلما قُرئ الكتاب على ابن زياد قال :

الآنَ إذ عَلِقَتْ مَخالِبُنا به يرجو النجاةَ ولاتَ حِينَ مناصِ!

قال : وكتب إلى عمَر بن سعد :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ؛ أما بعد ، فقد بلغنى كتابُك ، وفهمتُ ما ذكرتَ ، فاعرِض على الحسين أن يبايع ليزيدَ بن معاوية هو وجميع أصحابه، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا ، والسلام .

(1) ط : « الحنفى » ، وانظر الفهرس .

قال : فلما أتى عمَر بن سعد الكتابُ ، قال : قد حسبتُ ألّا يقبل ابن زياد العافية .

قال أبو مخنف : حدّثني سليمان بن أبى راشد ، عن حميد بن مسلم الأزدىّ ، قال : جاء من عُبيد الله بن زياد كتاب إلى عمرَ بن سعد : أما بعد ، فُحلْ بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، ولا يذوقوا منه قطرة ، كما صُنع بالتقىّ الزّكىّ المظلوم أميرِ المؤمنين عثمان بن عفان . قال : فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجّاج على خمسمائة فارس ، فنزلوا على الشريعة ، وحالوا بين حسين وأصحابه وبين الماء أن يُسقَوا منه قطرة ، وذلك قبل قتل الحسين بثلاث . قال : ونازلَه عبد الله بن أبى حُصين الأزدىّ – وعِداده فى بَجيلة – فقال : يا حسين ، ألا تنظر إلى الماء كأنه كَبد السماء ! والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عَطَشاً ؛ فقال حسين : اللهمّ اقتُله عَطَشاً ، ولا تَغفِرْ له أبداً . قال حميد بن مسلم : والله لعُدتُه بعد ذلك فى مرضه ، فوالله الذى لا إله إلاّ هو لقد رأيتُه يَشرَب حتى بَغَر[1] ، ثم يقىء ، ثم يعود فيَشرَب حتى يبغر فما يَروَى ، فما زال ذلك دأبه حتى لَفَظَ عصبه[2] . يعنى نفسه – قال : ولما اشتدّ على الحسين وأصحابه العطش دعا العباس بن على بن أبى طالب أخاه ، فبعثه فى ثلاثين فارساً وعشرين راجلا ، وبعث معهم بعشرين قِربةً ، فجاءوا حتى دنَوا من الماء ليلاً واستقدم أمامهم باللواء نافع بن هلال الجملىّ ، فقال عمرو بن الحجاج الزبيدىّ : من الرجل؟ فجىء فقال : ما جاء بك؟ قال : جئنا نشرب من هذا الماء الذى حلأتمونا[3] عنه ؛ قال : فاشربْ هنيئاً ، قال : لا والله ، لا أشرب منه قطرةً وحسينٌ عطشان ومن ترى من أصحابه ، فطلَعوا عليه ، فقال : لا سبيلَ إلى سقى هؤلاء ، إنما وُضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء ، فلما دنا منه أصحابه قال لرجاله : املئوا قِرَبكم ، فشدّ الرّجّالة فملئوا قِرَبهم ، وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه ، فحمل عليهم العباس بن علىّ ونافع بن هلال فكفّوهم ، ثم انصرفوا إلى رحالهم ، فقالوا : امضوا ، ووَقَفوا دونهم ، فعطف

(١) البغر : الشرب بلا رى .

(٢) فى اللسان : « لفظ عصبه ، أى ريقه » . .

(٣) يقال : حلأه ، عن الماء : طرده ومنعه منه .

عليهم عمرو بن الحجّاج وأصحابه واطّردوا قليلاً . ثم إن رجلا من صُداء طُعِن من أصحاب عَمرو بن الحجاج، طعنه نافع بن هلال، فظنّ أنها ليست بشيء ، ثم إنها انتقضت بعد ذلك ، فمات منها ، وجاء أصحابُ حسين بالقِرَب فأدخلوها عليه .

قال أبو مخنف: حدّثني أبو جَنَاب ، عن هانئ بن ثُبَيْت الحضرمىّ — وكان قد شهد قتلَ الحسين ، قال : بعث الحسينُ عليه السلام إلى عمَر بن سعد عَمرو بن قرظة بن كعب الأنصارىّ : أن القَنِى الليل بين عسكرى وعسكرك . قال : فخرج عمر بن سعد فى نحو من عشرين فارساً ، وأقبل حسين فى مِثل ذلك ، فلما التقوْا أمر حسين أصحابَه أن يتنحّوا عنه ، وأمر عمر بن سعد أصحابَه بمِثل ذلك ؛ قال : فانكشفنا عنهما بحيث لا نَسمَع أصواتَهما ولا كلامَهما ؛ فتكلّما فأطالا حتى ذهب من الليل هَزِيعٌ ، ثم انصرف كلٌّ واحد منهما إلى عسكره بأصحابه ، وتحدّث الناس فيما بينهما ؛ ظنّاً يظنّونه أنّ حسيناً قال لعمر بن سعد: اخرُج معى إلى يزيدَ بن معاوية وندع العسكرَيْن ؛ قال عمر : إذنْ تُهدَم دارى ؛ قال : أنا أبنيها لك ، قال : إذنْ تؤخذ ضياعى ؛ قال : إذن أعطيك خيراً منها من مالى بالحجاز . قال : فتكرّه ذلك عمر ؛ قال : فتحدّث الناس بذلك ، وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئاً ولا علموه .

قال أبو مخنف: وأمّا ما حدّثنا به المجالد بن سعيد والصَّقْعَب بن زهير الأزدىّ وغيرهما من المحدّثين ، فهو ما عليه جماعة المحدّثين ، قالوا : إنه قال : اختاروا منّى خصالا ثلاثاً : إمّا أن أرجع إلى المكان الذى أقبلتُ منه ، وإمّا أن أضع يدى فى يد يزيد بن معاوية فيرَى فيما بينى وبينه رأيَه ، وإما أن تسيّرونى إلى أىّ ثغر من ثغور المسلمين شئتم ، فأكونَ رجلا من أهلِه ، لى ما لَهم وعلىّ ما عليهم .

قال أبو مخنف : فأما عبد الرحمن بن جندَب فحدّثنى عن عقبة بن سِمْعانَ قال : صحبتُ حسيناً فخرجتُ معه من المدينة إلى مكة ، ومن مكّة إلى

العرات ، ولم أفارقه حتى قتل ، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا فى الطريق ولا بالعراق ولا فى عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتُها . ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون ؛ من أن يضع يده فى يد يزيد بن معاوية ، ولا أن يسيّروه إلى ثغر من ثغور المسلمين ، ولكنه قال : دعونى فلأذهبْ فى هذه الأرض العريضة حتى ننظرَ ما يصير أمرُ الناس .

قال أبو مخنف : حدّثنى المجالد بن سعيد الهمْدانىّ والصّقعب بن زهير ، أنهما كانا التقيَا مراراً ثلاثًا أو أربعًا ؛ حسين وعمر بن سعد ؛ قال : فكتب عمر ابن سعد إلى عُبيد الله بن زياد : أما بعد ، فإن الله قد أطفأ النائرة ، وجَمَع الكلمة ، وأصلَح أمر الأمة ، هذا حسين قد أعطانى أن يرجع إلى المكان الذى منه أتى ، أو أن نسيّره إلى أىّ ثغر من ثغور المسلمين شئنا ، فيكونَ رجلاً من المسلمين له ما لَهم ، وعليه ما عليهم ، أو أن يأتىَ يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده ، فيرى فيما بينه وبينه رأيه ، وفى هذا لكم رضًا ، وللأمة صلاحٌ . قال : فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال : هذا كتاب رجل ناصح لأميرِه ، مشفقٍ على قومِه ، نعمْ قد قبلتُ . قال : فقام إليه شمر بن ذى الجوشن ، فقال : أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك ! والله لئن رحل من بلدك ، ولم يضع يده فى يدك ، ليكوننّ أولى بالقوّة والعزّة ولتكوننّ أولى بالضّعف والعجز ، فلا تُعطِه هذه المنزلَة فإنها من الوَهَن ، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه ، فإن عاقبتَ فأنت ولىّ العقوبة ، وإن غفرتَ كان ذلك لك ، واللهِ لقد بلغنى أنّ حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدّثان عامّة الليل ، فقال له ابن زياد : نِعْمَ ما رأيتَ ! الرأىُ رأيُك .

قال أبو مخنف : فحدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : ثمّ إنّ عبيد الله بن زيادٍ دعا شَمِر بنَ ذى الجَوْشن فقال له : اخرجْ بهذا الكتاب إلى عُمَر بن سعد فلْيعرض على الحسين وأصحابه النزولَ على حُكمِى ، فإن فعلوا فليبعث بهم إلىّ سلمًا ، وإن هم أبَوا فليقاتلْهم ، فإن فعل فاسمع له وأطع ، وإن هو أبى فقاتِلهم ، فأنت أمير الناس ، وثِبْ عليه فاضرب عنقه ، وابعث إلىّ برأسه .

قال أبو مخنف: حدّثنى أبو جَنّاب الكلبيّ، قال: ثم كتب عبيد الله ابن زياد إلى عمر بن سعد: أما بعد، فإنى لم أبعثك إلى حسين لتكفّ عنه ولا لتطاوِلَه، ولا لتمنّيَه السلامةَ والبقاء، ولا لتقعدَ له عندى شافعًا.. انظر، فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فابعث بهم إلىّ سلمًا، وإن أبوْا فازحف إليهم حتى تقتُلَهم وتمثّل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتِل حسين فأوْطئ الخيلَ صدرَه وظهرَه، فإنه عاقّ مشاقّ، قاطع ظلوم، وليس دهرى فى هذا أن يُضَرّ بعد الموت شيئًا، ولكن علىّ قول لو قد قتلتُه فعلتُ هذا به. إن أنتَ مضيتَ لأمرِنا فيه جزَيناك جزاءَ السامع المطيع، وإن أبيتَ فاعتزِلْ عمَلَنا وجندَنا، وخلّ بين شمِر بن ذى الجوْشن وبين العسكر، فإنا قد أمرناه بأمرنا؛ والسلام.

قال أبو مخنف: عن الحارث بن حَصِيرة، عن عبد الله بن شريك العامرىّ، قال: لمّا قبض شمر بن ذى الجوشَن الكتاب قام هو وعبد الله بن أبى المحلّ — وكانت عمته أمّ البنين ابنة حزام عند علىّ بن أبى طالب عليه السلام، فولدتْ له العبّاسَ وعبدَ الله وجعفرًا وعثمانَ — فقال عبد الله بن أبى المحلّ بن حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب: أصلح الله الأمير! إن بنِى أختنا مع الحسين، فإن رأيتَ أن تكتب لهم أمانًا فعلت؛ قال: نعم ونَعمةَ عيْن. فأمر كاتبه، فكتب لهم أمانًا، فبعث به عبد الله بن أبى المحلّ مع مولًى له يقال له: كُزمان، فلما قدم عليهم دعاهم، فقال: هذا أمانٌ بعثَ به خالُكم؛ فقال له الفتية: أقرِئْ خالَنا السلام، وقل له: أن لا حاجةَ لنا فى أمانكم، أمانُ الله خيرٌ من أمان ابن سميّة. قال: فأقبل شمِر بن ذى الجوْشن بكتاب عُبيد الله بن زياد إلى عمر ابن سعد، فلما قدم به عليه فقرأه قال له عمر: مالَكَ ويْلَكَ! لا قرّب الله دارَك، وقبّح الله ما قدمت به علىّ! والله إنى لأظنّك أنت ثنَيْتَه أن يقبَل ما كتبتُ به إليه، أفسدت علينا أمرًا كنا رجونا أن يصلح، لا يستسلم والله حسين، إنّ نفسًا أبيّةً لبيْن جنبيْه، فقال له شِمر: أخبرْنى ما أنت صانع؟ أتمضى لأمر أميرك وتقتل عدوّه، وإلا فخلّ بينى وبين الجند

والعسكر ؛ قال : لا ولا كرامةَ لك ، وأنا أتولّى ذلك ؛ قال : فدونك ، وكن أنت على الرّجال ؛ قال : فنهض إليه عشيّة الخميس لتسعٍ مضَين من المحرّم ؛ قال : وجاء شمِر حتى وقف على أصحاب الحسين ، فقال : أين بنو أختنا ؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو عليّ ، فقالوا له : مالَكَ وما تريد ؟ قال : أنتم يا بنى أختى آمنون ؛ قال له الفتية : لعنك الله ولعن أمانك ! لئن كنت خالنا أتؤمِّننا وابن رسول الله لا أمانَ له ! قال : ثمّ إنّ عمر بن سعد نادى : يا خيلَ اللهِ اركبى وأبشرى . فركِب فى الناس ، ثم زحف نحوَهم بعد صلاة العصر ، وحسين جالس أمامَ بيته محتبيًا بسيفه ، إذ خفق برأسه على ركبتَيْه ، وسمعتْ أخته زينب الصيحة فدنتْ من أخيها ، فقالت : يا أخى ، أما تسمع الأصوات قد اقتربت ! قال : فرفع الحسينُ رأسه فقال : إنّى رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى : إنك تروح إلينا ؛ قال : فلطمتْ أختُه وجهَها وقالت : ياويلتا ! فقال : ليس لكِ الويل يا أخيّة ، اسكُنى رحمكِ الرّحمن ! وقال العباس بن علىّ : يا أخى ، أتاك القومُ ؛ قال : فنهض ؛ ثم قال : يا عباس ، اركَب بنَفْسى أنت يا أخى حتى تلقاهم فتقول لهم : ما لكم ؟ وما بَدَا لكم ؟ وتسألهم عما جاء بهم ؟ فأتاهم العباس ؛ فاستقبلهم فى نحو من عشرين فارسًا فيهم زهير بن القين وحبيبِ ابن مظاهر ، فقال لهم العباس : ما بدا لكم ؟ وما تريدون ؟ قالوا : جاء أمر الأمير بأن نَعرِض عليكم أن تنزلوا على حُكمه أو ننازِلكم ؛ قال : فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبى عبد الله فأعرِض عليه ما ذكرتم ؛ قال : فوقفوا ثم قالوا : القَه فأعلِمه ذلك ، ثمّ القَنا بما يقول ؛ قال : فانصرف العبّاس راجعًا يركض إلى الحسين يُخبره بالخبر ، ووقف أصحابُه يخاطبون القومَ ، فقال حبيب ابن مظاهر لزهير بن القين : كلِّم القومَ إن شئتَ . وإن شئتَ كلمتُهم ، فقال له زهير : أنت بدأت بهذا ، فكن أنت تكلّمهم ، فقال له حبيب بن مظاهر : أما والله لبئسَ القومُ عند الله غداً قومٌ يَقدَمون عليه قد قتلوا ذرّية نبيّه عليه السلام وعِترتَه وأهلَ بيته صلى الله عليه وسلم وعبّاد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار ، والذاكرين اللهَ كثيراً ؛ فقال له عَزْرة بن قيس : إنك لتُزكّى

نفسك ما استطعتَ؛ فقال له زهير : يا عَزْرة، إنّ الله قد زكّاها وهداها ، فاتّق الله يا عزرة فإني لك من الناصحين، أنشُدُك اللهَ يا عَزْرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكيّة! قال : يا زهير، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت ، إنما كنتَ عثمانيًّا ؛ قال : أفلستَ تستدلّ بموقفي هذا أنّي منهم! أما والله ما كتبتُ إليه كتابًا قطّ ، ولا أرسلتُ إليه رسولا قطّ ، ولا وعدتُه نُصرتي قطّ ، ولكن الطريق جمع بيني وبينه ، فلما رأيته ذكرتُ به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ومكانَه منه ، وعرفت ما يقدم عليه من عدوّه وحزبكم ، فرأيت أن أنصرَه ، وأن أكون في حزبه ، وأن أجعل نفسي دونَ نفسه، حِفظًا لما ضيّعتم من حقّ الله وحقّ رسوله عليه السلام . قال : وأقبل العبّاس بن عليّ يركض حتى انتهى إليهم، فقال : ياهؤلاء ، إنّ أبا عبد الله يسألكم أن تَنصرِفوا[1] هذه العشيّة حتى ينظر في هذا الأمر ، فإنّ هذا أمرٌ لم يجْرِ بينكم وبينه فيه مَنطقٌ، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله ، فإمّا رضيناه فأتينا بالأمر الذي تسألونه وتسومونه ، أو كرهْنا فرددْناه ، وإنما أراد بذلك أن يردّهم عنه تلك العشيّة حتى يأمر بأمره ، ويوصِي أهلَه ، فلما أتاهم العباس بن عليّ بذلك قال عمر بن سعد : ما ترى يا شمِر ؟ قال : ما ترى أنت ، أنت الأمير والرأى رأيك ؛ قال : قد أردت ألّا أكون ؛ ثم أقبل على الناس فقال : ماذا ترون ؟ فقال عَمرو بن الحجّاج بن سلمة الزُّبيديّ : سبحان الله ! والله لو كانوا من الدّيلم ثم سألوك هذه المنزلةَ لكان ينبغي لك أن تجيبهم إليها ؛ وقال قيس بن الأشعث : أجِبْهم إلى ما سألوك، فلَعَمرى ليصبِحُنّك بالقتال غُدْوة؛ فقال : والله لو أعلم أن يفعلوا ما أخرجتُهم العشيّة ؛ قال : وكان العباس بن عليّ حين أتى حسينًا بما عرض عليه عمر بن سعد قال : ارجِع إليهم ، فإن استطعتَ أن تؤخّرَهم إلى غُدْوة وتدفَعَهم عند العشيّة لعلنا نصلّي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره ، فهو يَعلم أني قد كنتُ أحبّ الصلاةَ له وتلاوةَ كتابه وكثْرةَ الدعاء والاستغفار!

قال أبو مخنف : حدّثني الحارث بن حَصيرة ، عن عبد الله بن شريك

(١) ابن الأثير : « أن تنصرفوا عنا » .

العامرىّ ، عن علىّ بن الحسين قال : أتانا رسولٌ مِن قِبَل عمر بن سعد فقام مثل حيث يُسمعَ الصوت،فقال : إنا قد أجّلنا كم إلى غد ، فإن استسلمتم سرّحنا بكم إلى أميرنا عُبيد الله بن زياد ، وإن أبَيتم فلسنا تارِكيكُمْ .

قال أبو مخنف: وحدّثنى عبدالله بن عاصم الفائشىّ ، عن الضحاك بن عبد الله المشرقى.— بَطْن من هَمْدان— أنّ الحسين بنَ علىّ عليه السلام جمع أصحابه.

قال أبو مِخْنف : وحدّثنى أيضًا الحارث بن حَصِيرة ، عن عبدالله بن شريك العامرىّ ، عن علىّ بن الحسين ، قالا : جمع الحسين أصحابَه بعد ما رجع عمر بن سعد، وذلك عند قرب المساء ، قال علىّ بن الحسين : فدنوتُ منه لأسمع وأنا مريض ، فسمعتُ أبى وهو يقول لأصحابه : أثنى على الله تبارك وتعالى أحسنَ الثناء ، وأحمده على السرّاء والضرّاء ، اللهمّ إنّى أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة ، وعلّمتنا القرآن، وفقّهتنا فى الدين ، وجعلت لنا أسماعًا وأبصاراً وأفئدة ، ولم تجعلنا من المشركين ؛ أما بعد ، فإنى لا أعلم أصحابًا أولَى ولاخيراً من أصحابى ، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصلَ من أهل بيتى ،فجزاكم الله عنى جميعًا خيراً ؛ ألا وإنى أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإنى قد رأيت[1] لكم فانطلقوا جميعًا فى حلّ ، ليس عليكم مِنّى ذِمام، هذا ليلٌ قد غَشيكم ، فاتّخِذوه جَمَلا .

قال أبو مخنف : حدّثنا عبد الله بن عاصم الفائشىّ — بطن من هَمْدان — عن الضّحاك بن عبد الله المِشرقىّ ، قال : قدمت ومالك بن النضر الأرحبىّ على الحسين ، فسلّمنا عليه، ثم جلسنا إليه ، فردّ علينا ، ورحّب بنا ، وسألنا عما جئنا له ، فقلنا : جئنا لنسلّم عليك ، وندعوَ الله لك بالعافية، ونحدِثَ بك عهداً ، ونخبرك خبر الناس ، وإنا نحدّثك أنهم قد جمعوا على حربك فرَ رأيك . فقال الحسين عليه السلام : حسبى الله ونعم الوكيل ! قال: فتذممنا وسلمنا عليه ، ودعَوْنا اللهَ له ، قال : فما يمنعكما من نُصرتى ؟ فقال مالك ابن النّضر: علىّ دَين ، ولى عيال ، فقلتُ له : إنّ علىّ دَينًا ، وإنّ لى لعيالا ، ولكنك إن جعلتنى فى حِلٍّ من الانصراف إذا لم أجد مقاتلاً قاتلت

(١) ابن الأثير : « أذنت » .

عنك ما كان لك نافعاً ، وعنك دافعاً ! قال : قال : فأنت فى حل ّ ؛ فأقمتُ معه ، فلما كان الليل قال : هذا الليل قد غشيكم ، فاتّخذوه جملا ، ثم ليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتى ، تفرّقوا فى سوادكم ومدائنكم حتى يفرّج الله ، فإنّ القوم إنما يطلبونى ، ولو قد أصابونى لهَوْا عن طلب غيرى ؛ فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر : لِمَ نفعل لنبقى بعدك ، لا أرانا الله ذلك أبداً ؛ بدأهم بهذا القول العباس بن علىّ . ثم إنهم تكلّموا بهذا ونحوه ، فقال الحسين عليه السلام : يا بنى عقيل ، حسبكم من القتل بمسلم ، اذهبوا قد أذنتُ لكم ؛ قالوا : فما يقول الناس[1] ! يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبنى عمومتنا خير الأعمام ، ولم نرْم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برُمح ، ولم نضربْ معهم بسيف ، ولا ندرى ما صنعوا ! لا والله لا نفعل ، ولكن تَفديك[2] أنفسنا وأموالُنا وأهلُونا ، ونقاتل معك حتى نَرِدَ مَوردَك ، فقبح الله العيشَ بعدك !

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الله بن عاصم ، عن الضّحاك بن عبد الله المِشرقىّ ، قال : فقام إليه مسلم بن عَوْسجة الأسدىّ فقال : أنحنُ نخلّى عنك ولمّا نُعذِر إلى الله فى أداء حقك ! أما والله حتى أكسرَ فى صدورهم رُمْحى ، وأضربَهم بسيفى ما ثبت قائمُه فى يدى ، ولا أفارقك ؛ ولو لم يكن معى سلاح أقاتلُهم به لقذفتُهم بالحجارة دونَك حتى أموت معك . قال : وقال سعيد[3] بن عبد الله الحنفىّ : والله لا نخلّيك حتى يعلم الله أنا حفظنا غيبةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فيك ، والله لو علمتُ أنى أقتل ثم أحيا ثمّ أُحرَق حيًّا ثم أذرّ ؛ يُفعَلُ ذلك بى سبعين مرّة ما فارقتُك حتى ألقَى حِمامى دونَك ، فكيف لا أفعل ذلك ! وإنما هى قَتْلة واحدة ، ثم هى الكرامة التى لا انقضاء لها أبداً .

قال : وقال زهير بن القَين : والله لوددتُ أنى قُتِلت ثم نشِرت ثم قتِلت حتى أقتلَ كذا ألف قتلة ، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس

(١) ابن الأثير : « فما نقول للناس » .

(٢) ابن الأثير : « نفديك » . (٣) ط : « سعد » تحريف .

هؤلاء الفتية من أهل بيتك . قال : وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضُه بعضًا فى وجه واحد، فقالوا: والله لا نفارقُك، ولكنّ أنفسنا لك الفداء، نَقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا ، فإذا نحن قُتلنا كنّا وفّينا ، وقضَينا ما علينا .

قال أبومخنف : حدّثنى الحارث بن كعب وأبو الضّحاك ، عن علىّ ابن الحسين بن علىّ قال : إنى جالس فى تلك العشيّة التى قُتِل أبى صبيحتَها، وعمّتى زينب عندى تمرّضنى ، إذ اعتزل أبى بأصحابه فى خباء له ، وعنده حُوَىّ، مولَى أبى ذَرّ الغِفارىّ ، وهو يعالج سيفَه ويصلِحُه وأبى يقول :

يا دهرُ أفٍّ لك من خليلِ كم لك بالإشراقِ والأَصيل
مِن صاحبٍ أو طالبٍ قَتيل والدَّهرُ لا يقنعُ بالبَدِيل
وإنما الأَمرُ إلى الجليلِ وكلُّ حىٍّ سَالكُ السّبيل

قال : فأعادها مرّتين أو ثلاثا حتى فهمتُها، فعرفتُ ما أراد ، فخنقتْنى عَبرتى ، فرددتُ دمعى ولزمت السكون ، فعلمتُ أنّ البلاء قد نزل ؛ فأما عمّتى فإنها سمعتْ ما سمعتُ ، وهى امرأة ، وفى النساء الرِّقّة والجزَع ، فلم تملكْ نفسها أن وثبتْ تجرّ ثوبَها ، وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه ؛ فقالت : واثكْلاه ! ليت الموتَ أعدمَنى الحياةَ ! اليوم ماتت فاطمة أمى وعلىّ أبى وحسن أخى ، يا خليفة الماضى ، وثِمال الباقى ؛ قال : فنظر[1] إليها الحسين عليه السلام فقال: يا أُخيّة ، لا يُذهبَنّ حِلمك الشيطان؛ قالت : بأبى أنت وأمى يا أبا عبد الله ! استقتلْت نفسى فِداك ؛ فردّ غُصّته، وترقرقتْ عيناه ، وقال : لو تُرِك القَطَا لَيْلاً لنام ؛ قالت: يا ويلَتى ، أفتغصب نفسك اغتصابًا ، فذلك أقرَح لقلبى ، وأشدُّ على نفسى! ولطمتْ وجهَها ، وأهوَتْ إلى جَيْبها وشقّته ، وخرّت مغشيًّا عليها ، فقام إليها الحسين فصبّ على وجهها الماء ، وقال لها : يا أُخيّة ، اتّقى الله وتعزّىْ بعزاء الله ، واعلمى أنّ أهلَ الأرض يموتون ، وأنّ أهل السماء لا يَبقوْن ، وأنّ كلّ شىء هالكٌ

(١) ابن الأثير : « فذهب فنظر إليها »

إلا وجه الله الذى خلق الأرض بقدرته ، ويبعث الخلق فيعودون ، وهو فرد وحده ، أبى خيرٌ منى ، وأمى خيرٌ منى ، وأخى خيرٌ منى ، ولى ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة ؛ قال : فعزّاها بهذا ونحوه ، وقال لها : يا أخيّة ، إنى أقسم عليك فأبرّى قسمى ، لا تشقّى علىّ جيبًا ، ولا تخمشى علىّ وجهًا ، ولا تدْعى علىّ بالويل والثبور إذا أنا هلكتُ ؛ قال : ثم جاء بها حتى أجلسها عندى ، وخرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرّبوا بعضَ بيوتهم من بعض ، وأن يُدخلوا الأطناب بعضها فى بعض ، وأن يكونوا هم بين البيوت إلا الوجه الذى يأتيهم منه عدوّهم .

قال أبو مخنف : عن عبد الله بن عاصم، عن الضحّاك بن عبد الله المِشْرَقىّ ، قال : فلما أمسى حسين وأصحابه قاموا الليلَ كلّه يصلّون ويستغفرون ، ويدْعون ويتضرّعون ؛ قال : فتمرّ بنا خيلٌ لهم تحرسنا، وإنّ حسينًا ليقرأ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾[1]. فسمعها رجل من تلك الخيل التى كانت تحرسنا ، فقال: نحن وربِّ الكعبة الطيّبون، مُيِّزنا منكم. قال : فعرفتُه فقلتُ لبُرَير بن حُضَير : تدرى مَن هذا ؟ قال : لا ؛ قلت هذا أبو حرْب السَّبيعىّ عبد الله بن شهر –وكان مِضْحاكًا بطّالا، وكان شريفًا شُجاعًا فاتكًا ، وكان سعيد بن قيس ربما حبسه فى جناية – فقال له بُرَير بن حُضَير: يا فاسق، أنت يجعلك الله فى الطيّبين! فقال له : مَن أنت ؟ قال : أنا بُرَير بن حُضَير ؛ قال : إنا لله! عزّ علىّ ! هلكت والله ، هلكت والله يا بُرَير! قال : يا أبا حرب، هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام ! فوالله إنا لنحن الطيّبون ، ولكنكم لأنتم الخبيثون ؛ قال : وأنا على ذلك من الشاهدينَ ، قلتُ : ويحك ! أفلا ينفعك معرفتُك ! قال : جُعلت فداك ! فمن ينادم يزيدَ بن عذرة العَنَزىّ من عَنَز بن وائل ! قال : ها هو ذا معى ؛ قال : قبح الله رأيك على كلّ حال! أنت سفيه . قال : ثم انصرف

(١) سورة آل عمران: ١٧٨ ، ١٧٩ .

عنّا ، وكان الذى يحرُسنا بالليل فى الخيل عَزْرة بن قيس الأحْمسىّ ، وكان على الخيل ؛ قال : فلما صلّى عمر بن سعد الغداةَ يوم السبت — وقد بلغَنا أيضًا أنه كان يوم الجمعة ، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء — خرج فيمن معه من الناس .

قال : وعبّأ الحسين أصحابَه ، وصلّى بهم صلاةَ الغَداة ، وكان معه اثنان وثلاثون فارسًا وأربعون راجلا ، فجعل زهير بنَ القين فى ميمنة أصحابه ، وحبيبَ بن مُظاهر فى ميسرة أصحابه ، وأعطَى رايتَه العباس بن علىّ أخاه ، وجعلوا البيوت فى ظهورهم ، وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيُوت يُحرق بالنار مخافةأن يأتوهم من ورائهم . قال : وكان الحسين عليه السلام أتى بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم منخفِض كأنه ساقية ، فحفروه فى ساعة من الليل ، فجعلوه كالخندق ، ثم ألقَوْا فيه ذلك الحطب والقصب ، وقالوا : إذا عَدَوْا علينا فقاتَلُونا ألقَيْنا فيه النار كيلا نُؤتَى من ورائنا ، وقاتلنا القوم من وجه واحد . ففعلوا ، وكان لهم نافعًا .

قال أبو مخنف : حدّثنى فُضيل بن خَديج الكندىّ ، عن محمد بن بشر ، عن عَمرو الحضرمىّ ، قال : لما خرج عمر بن سعد بالناس كان على رُبْع أهل المدينة يومئذ عبدُ الله بن زهير بن سُليم الأزدىّ ، وعلى رُبْع مَذْحِج وأسَد عبدالرحمن بن أبى سَبْرة الجعفىّ[1] ، وعلى رُبْع ربيعة وكِنْدة قيس بن الأشعث بن قيس ، وعلى ربع تميم وهمْدان الحرّ بن يزيد الرِّياحىّ ؛ فشهد هؤلاء كلُّهم مَقتلَ الحسين إلا الحُرّ بن يزيد فإنه عدل إلى الحسين ، وقُتل معه . وجعل عمرُ على ميمنته عَمْرو بنَ الحجّاج الزُّبيدىّ ، وعلى ميسرته شَمِر بن ذى الجوْشن بن شُرَحبيل بن الأعور بن عمر بن معاوية — وهو الضِّباب بن كلاب — وعلى الخيل عَزْرة بن قيس الأحمسىّ ، وعلى الرِّجال شَبَث بن رِبْعىّ الرياحىّ ، وأعطى الراية ذُوَيدًا[2] مولاه .

قال أبو مخنف : حدّثنى عَمرو بن مرّة الجمَلىّ ، عن أبى صالح الحنفىّ ،

(١) ط : «الحنفى» ، وانظر الفهرس. (٢) ابن الأثير : «دريداً» .

عن غلام لعبد الرّحمن بن عبد ربّه الأنصاريّ ، قال : كنت مع مولاى ، فلما حضر الناس وأقبلوا إلى الحسين ، أمر الحسينُ بفُسطاط فضُرب ، ثم أمر بمسك فميثَ فى جَفْنة عظيمة أو صَحْفة ؛ قال : ثم دخل الحسين ذلك الفُسْطاطَ فتطلّى بالنُّورة. قال : ومولاى عبدُ الرحمن بنُ عبد ربّه وبُرَير ابن حُضَير الهمْدانىّ على باب الفُسْطاط تحتكّ مناكبهما ، فازدحما أيهما يَطّلى على أثره ، فجعل بُرير يهازل عبدَ الرحمن ، فقال له عبدالرحمن : دعنا ، فوالله ما هذه بساعة باطل ، فقال له بُرَير : والله لقد علم قومى أنى ما أحببتُ الباطلَ شابًّا ولا كَهْلا ، ولكنْ والله إنّى لمستبشرٌ بما نحن لاقُون ، والله إنْ بيننا وبين الُحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم ، ولَوددتُ أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم. قال : فلما فرغ الحسين دخلنا فاطّلينا ، قال : ثمّ إنّ الحسين ركب دابّته ودعا بمصحف فوضعه أمامَه؛ قال : فاقتتل أصحابُه بين يديه قتالا شديداً ، فلما رأيتُ القوم قد صُرِعوا أفلتّ وتركتُهم.

قال أبو مخنف ، عن بعض أصحابه، عن أبى خالد الكاهلىّ ، قال : لما صبّحت الخيل الحسينَ رفع الحسين يديه، فقال: اللهمّ أنت ثقتى فى كلّ كرب ، ورجائى فى كلّ شدّة ، وأنت لى فى كلّ أمر نزل بى ثقة وعُدّة ، كم من همّ يَضعفُ فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصديق ، ويَشمَت فيه العدوّ ، أنزلتُه بك ، وشكوته إليك، رغبةً منى إليك عمّن سواك ، ففرّجتَه وكشفتَه ، فأنت ولىّ كلّ نعمة ، وصاحب كلّ حسنة ، ومُنتهَى كلّ رغبة .

قال أبو مخنف : فحدّثنى عبد الله بن عاصم، قال : حدّثنى الضحّاك المِشرقىّ، قال : لما أقبلوا نحونا فنظروا إلى النار تضطرم فى الحطب والقصب الذى كنا ألهبنا فيه النار من ورائنا لئلاّ يأتونا مِن خلفنا، إذْ أقبل إلينا منهم رجل يَركُض على فرس كامل الأداة، فلم يكلّمنا حتى مرّ على أبياتنا ، فنظر إلى أبياتنا فإذا هو لا يرى إلاّ حطبًا تلتهب النار فيه ، فرجع راجعًا ، فنادى بأعلى صوته : يا حسين ، استعجلتَ النارَ فى الدنيا قبل يوم القيامة ! فقال

الحسين : مَن هذا ؟ كأنه شَمِر بن ذى الجَوْشن! فقالوا : نعم، أصلحك الله ! هو هو ، فقال : يابن راعية المِعْزَى ، أنت أوْلى بها صليًّا ؛ فقال له مسلم بن عَوْسَجة : يابن رسول الله ، جُعِلتُ فِداك! ألا أرميه بسهم! فإنه قد أمكنني ، وليس يَسقُط [منّى] سهم ، فالفاسق من أعظم الجبّارين ؛ فقال له الحسين : لا ترمِه ، فإنى أكره أن أبدأهم ، وكان مع الحسين فرس له يُدْعى لاحقًا حمل عليه ابنَه علىّ بن الحسين ؛ قال : فلما دنا منه القوم عاد براحلته فركبها ، ثم نادى بأعلى صوته دُعاءً يُسمِع جُلّ الناس : أيها الناس ؛ اسمَعوا قولى ، ولا تَعجلونى حتى أعِظَكم بما لحقٌّ لكم علىّ ، وحتى أعتذرَ إليكم من مَقدَمى عليكم ، فإن قبلتم عذرى ، وصدّقتم قولى ، وأعطيتمونى النَّصف ، كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم علىّ سبيل ، وإن لم تقبلوا منّى العذر ، ولم تُعطُوا النَّصَف من أنفسكم ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾(1) ؛ ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾(2) . قال: فلما سمع أخواته كلامه هذا صِحْن وبكيْن ، وبكى بناته فارتفعت أصواتُهن ، فأرسل إليهنّ أخاه العباس ابن علىّ وعليًّا ابنه ، وقال لهما : أسكِتاهنّ ، فلَعَمرى ليكثُرنّ بكاؤهنّ ؛ قال : فلما ذهبا ليُسكتاهنّ قال : لا يَبْعد ابن عباس ؛ قال : فظننا أنه إنما قالها حين سُمِع بكاؤهنّ ، لأنه قد كان نهاه أن يخرج بهنّ ، فلما سكتن حَمِد الله وأثنى عليه ، وذكَرَ اللهَ بما هو أهلُه ، وصلى على محمّد صلى الله عليه وعلى ملائكته وأنبيائه ، فذكر من ذلك ما الله أعلم وما لا يُحصى ذكرُه . قال : فوالله ما سمعتُ متكلِّمًا قطّ قبلَه ولا بعدَه أبلغَ فى منطق منه ؛ ثم قال : أمّا بعد ، فانسبونى فانظروا مَن أنا ، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتِبوها ، فانظروا ؛ هل يحلّ لكم قتلى وانتهاكُ حرمتى ؟ ألستُ ابنَ بنت نبيّكم صلى الله عليه وسلم وابنَ وصيّه وابن عمّه ، وأوّل المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه ! أوَ ليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبى ! أوَ ليس جعفر الشهيد الطيّار

(1) سورة يونس: 71 .

(2) سورة الأعراف: 196 .

ذو الجناحين عمّى! أوَ لم يبلغكم قول مستفيض فيكم: إنّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لى ولأخى: «هذان سيّدا شباب أهل الجنة»! فإن صدّقتمونى بما أقول — وهو الحقّ — فوالله ما تعمّدت كذبًا مذ علمتُ أنّ الله يمقت عليه أهله، ويضرّ به من اختلقه، وإن كذّبتمونى فإنّ فيكم مَن إن سألتموه عن ذلك أخبرَكم؛ سَلُوا جابرَ بنَ عبد الله الأنصاريّ، أو أبا سعيد الخُدْرىّ، أو سهل بن سعد الساعدىّ، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك؛ يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لى ولأخى. أفَما فى هذا حاجز لكم عن سَفْك دمى! فقال له شَمِر بن ذى الجوشن: هو يَعبد الله على حَرْف إن كان يدرى ما يقول! فقال له حبيب بن مُظاهر: والله إنى لأراك تَعبُد الله على سبعين حرفًا، وأنا أشهد أنك صادق ما تدرى ما يقول، قد طبع اللهُ على قلبك؛ ثم قال لهم الحسين: فإنْ كنتم فى شكّ من هذا القول أفتشكّون أثرًا ما أنّى ابنُ بنت نبيّكم! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيرى منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنتِ نبيّكم خاصّة. أخبرونى، أتطلبونى بقتيل منكم قتلتُه، أو مالٍ لكم استهلكته، أو بقِصاص من جراحة؟ قال: فأخذوا لا يكلمونه؛ قال: فنادى: يا شَبَث بن رِبْعىّ، ويا حجّار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلىّ أن قد أينعَت الثمار، واخضرّ الجَناب، وطمّت الجمام[1]، وإنما تقدُم على جند لك مُجنَّد، فأقبِلْ! قالوا له: لم نفعل؛ فقال: سبحان الله! بلى والله، لقد فعلتم؛ ثم قال: أيها الناس، إذْ كرهتمونى فدعونى أنصرف عنكم إلى مأمَنى من الأرض؛ قال: فقال له قيس بن الأشعث: أوَ لا تنزل على حكم بنى عمّك، فإنهم لن يُرُوك إلا ما تحبّ، ولن يصل إليك منهم مكروه؟ فقال الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثرَ من دم مسلم بن عَقيل؛ لا والله لا أعطيهم بيدى إعطاء الذليل، ولا أقرُّ إقرارَ العبيد. عباد الله، إنى عُذْتُ بربّى وربّكم أن تَرجُمون

(١) طم الماء: علا وغمر. والجمام: جمع جمة؛ وهو المكان يجتمع فيه الماء.

أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ؛ قال : ثم إنه أناخ راحلته ، وأمر عقبة بن سمعان فعقلها ، وأقبلوا يزحفون نحوه .

قال أبو مخنف : فحدثني علي بن حنظلة بن أسعد الشامي ، عن رجل من قومه شهد مقتل الحسين حين قتل يقال له كثير بن عبد الله الشعبي ؛ قال : لما زحفنا قبل الحسين خرج إلينا زهير بن قين على فرس له ذنوب[1] ، شاك في السلاح ، فقال : يا أهل الكوفة ، نذار لكم من عذاب الله نذار ! إن حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن إخوة ، وعلى دين واحد وملة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، وأنتم للنصيحة منا أهل ، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة ، وكنا أمة وأنتم أمة ، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد ، فإنكم لا تدركون منهما إلا بسوء عمر سلطانهما كله ، ليسملان أعينكم ، ويقطعان أيديكم وأرجلكم ، ويمثلان بكم ، ويرفعانكم على جذوع النخل ، ويقتلان أماثلكم وقراءكم ، أمثال حجر بن عدي وأصحابه ، وهانئ بن عروة وأشباهه ؛ قال : فسبوه ، وأثنوا على عبيد الله بن زياد ، ودعوا له ، وقالوا : والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه ، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله سلما ؛ فقال لهم : عباد الله ، إن ولد فاطمة رضوان الله عليها أحق بالود والنصر من ابن سمية ، فإن لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم ؛ فخلوا بين الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية ، فلعمري إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ؛ قال : فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال : اسكت أسكت الله نأمتك ، أبرمتنا بكثرة كلامك ! فقال له زهير : يا بن البوال على عقبيه ، ما إياك أخاطب ، إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين ، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم ؛ فقال له شمر : إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة ؛ قال : أفبالموت تخوفني !

---

(١) فرس ذنوب : وافر شعر الذنب .

فوالله للموت معه أحبّ إليّ من الخُلد معكم ؛ قال : ثمّ أقبل على الناس رافعًا صوته ، فقال : عبادَ الله، لايغرّنّكم من دينكم هذا الجِلْف الجافى وأشباهه، فوالله لا تنال شفاعةُ محمد صلى الله عليه وسلم قومًا هَراقوا دماء ذُرِّيته وأهل بيته ، وقتلوا مَن نصرهم وذبَّ عن حريمهم ؛ قال: فناداه رجل فقال له : إنّ أبا عبد الله يقول لك : أقبل ، فلَعمرى لئن كان مؤمنُ آل فرعون نصح لقومه وأبلَغ فى الدعاء، لقد نصحتَ لهؤلاء وأبلغتَ لو نفع النصح والإبلاغ !

قال أبو مخنف : عن أبى جَناب الكَلْبى ، عن عدىّ بن حرمَلة ، قال : ثمّ إنّ الحُرّ بن يزيد لما زحف عمر بن سعد قال له : أصلحك الله! مُقاتِلٌ أنت هذا الرجل ؟ قال: إى والله قتالاً أيسرُه أن تسقط الرءوسُ وتطيح الأيدى ؛ قال: أفما لكم فى واحدة من الخصال التى عرض عليكم رضًا ؟ قال عمر بن سعد : أما والله لو كان الأمر إلىّ لفعلت ، ولكنّ أميرَك قد أبى ذلك ؛ قال : فأقبل حتى وقف من الناس موقفًا ، ومعه رجل من قومه يقال له قرّة بن قيس ، فقال : يا قرّة ، هل سقيتَ فرسَك اليوم ؟ قال : لا ؛ قال : إنما تريد أن تسقيَه ؟ قال : فظننت والله أنه يريد أن يتنحّى فلا يشهد القتالَ ، وكره أن أراه حين يصنع ذلك ، فيخاف أن أرفعه عليه ؛ فقلت له : لم أسقه ، وأنا منطلِق فساقيه ؛ قال : فاعتزلت ذلك المكانَ الذى كان فيه ؛ قال : فوالله لو أنه أطلعنى على الذى يريد لخرجت معه إلى الحسين ؛ قال : فأخذ يدنو من حُسَين قليلاً قليلاً ، فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر ابن أوس : ما تريد يابن يزيدَ ؟ أتريد أن تحمل ؟ فسكت وأخذه مثل العُرَوَاء[1] ، فقال له يابن يزيد ، والله إنّ أمرك لمريب ، والله ما رأيتُ منك فى موقف قطّ مثلَ شىء أراه الآن ، ولو قيل لى : مَن أشجع أهلِ الكوفة رجلا ما عدوْتُك ، فما هذا الذى أرى منك ! قال : إنى والله أخيِّر نفسى بين الجنة والنار ، ووالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطِّعتُ وحُرِّقت؛ ثم ضرب فرسَه فلحق بحسين عليه السلام ، فقال له : جعلنى الله فداك يابن رسول الله ! أنا صاحبك الذى حبستُك عن الرجوع ، وسايرتُك فى الطريق ،

---

(١) العرواء كغلواء : الرعدة تكون من الحمّى .

وجَعجعتَ بك فى هذا المكان ، والله الذى لا إله إلا هو ما ظننت أنّ القوم يردّون عليك ما عرضتَ عليهم أبداً ، ولا يبلغون منك هذه المنزلة . فقلت فى نفسى : لاأبالى أن أطيع القوم فى بعض أمرهم ، ولا يرون أنى خرجتُ من طاعتهم ، وأمّا هم فسيقبلون من حسين هذه الخصالَ التى يعرض عليهم ، ووالله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ماركبتُها منك؛ وإنّى قد جئتك تائباً مما كان منى إلى ربى ، ومواسياً لك بنفسى حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لى توبة ؟ قال : نعم ، يتوب الله عليك ، ويغفر لك ، ما اسمك ؟ قال : أنا الُحرّ بن يزيد ؛ قال : أنت الُحرّ كما سمّتك أمك ، أنت الحرّ إن شاء الله فى الدنيا والآخرة ؛ انزِلْ ؛ قال : أنا لك فارساً خيرٌ منّى راجلاً ، أقاتلهم على فرسى ساعة ، وإلى النزول ما يصير آخر أمرى . قال الحسين : فاصنع يَرحمك الله ما بدا لك . فاستقدم أمامَ أصحابه ثم قال : أيّها القوم، ألا تقبلون من حسين خَصلةً من هذه الخصال التى عرض عليكم فيعافيَكم الله من حربه وقتاله ؟ قالوا : هذا الأمير عمر بن سعد فكلّمْه، فكلّمَه بمثل ما كلمه به قبل، وبمثل ما كلّم به أصحابه؛ قال عمر : قد حرصتُ ، لو وجدتُ إلى ذلك سبيلاً فعلت ، فقال : يا أهل الكوفة ، لأمّكم الهَبَل والعُبْر[1] إذْ دعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتُموه ، وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه ، ثم عدوتم عليه لتقتلوه ،أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكَظْمه ، وأحطتم به من كل جانب ، فمنعتموه التوجّهَ فى بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهلُ بيته ، وأصبح فى أيديكم كالأسير لايَملك لنفسه نفعاً ، ولا يَدفع ضرّاً ، وحلأتموه[2] ونساءه وأصَيْبِيَتَه وأصحابه عن ماء الفرات الجارى الذى يشربه اليهودىّ والمجوسىّ والنصرانىّ ، وتمرّغُ[3] فيه خنازير السواد وكلابه،وهاهم أولاءقدصرعهم العطش، بئسما خلّفتم محمّداً فى ذريته ! لا سقاكم الله يومَ الظمإ إن لم تتوبوا وتَنزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا فى ساعتكم هذه . فحملتْ عليه رَجّالة

(١) العبر : سخنة العين .

(٢) حلأتموه عن الماء : صددتموه عنه ومنعتموه إياه . وفى ابن الأثير : « ومنعتموه » .

(٣) ابن الأثير : « ويتمرغ » .

لهم ترميه بالنَّبل ؛ فأقبل حتى وقف أمام الحسين .

قال أبو مخنف ، عن الصَّقعب بن زهير وسليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : وزحف عمر بن سعد نحوَهم ، ثمَّ نادى : يا ذويد ، أدْنِ رايتَك ؛ قال : فأدناها ثم وضع سهمَه في كَبِد قوسه ، ثمَّ رمى فقال : اشهَدوا أني أوَّل مَنْ رمى .

قال أبو مخنف : حدَّثني أبو جناب ، قال : كان منّا رجل يُدعَى عبدَ الله بن عُمير ، من بني عُليم ، كان قد نزل الكوفة ، واتّخذ عند بئر الجَعْد من هَمْدان داراً ، وكانت معه امرأةٌ له من النَّمِر بن قاسط يقال لها أمّ وهب بنت عبد ، فرأى القوم بالنُّخيلة يُعرَضون ليُسرَّحوا إلى الحسين ، قال : فسأل عنهم ، فقيل له : يسرَّحون إلى حسينِ بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : والله لقد كنتُ على جهاد أهل الشرك حريصًا ، وإني لأرجو ألّا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيّهم أيسرَ ثوابًا عند الله من ثوابه إيّاي في جهاد المشركين ؛ فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سمع ، وأعلَمها بما يريد ، فقالت : أصبتَ أصاب الله بك أرشدَ أمورك ، افعلْ وأخرجْني معك ؛ قال : فخرج بها ليْلاً حتى أتى حسينًا ، فأقام معه ، فلما دنا منه عمر بن سعد ورمى بسهم ارتمى الناس ، فلما ارتمَوْا خرج يسار مولَى زياد بن أبي سفْيان وسالم مولى عُبيد الله بن زياد ، فقالا : مَنْ يبارز؟ ليخرجْ إلينا بعضُكم ، قال : فوثب حبيب بن مُظاهر وبُرَيْر بن حُضَيْر ، فقال لهما حسين : اجلسا ؛ فقام عبد الله بن عمير الكلبيّ فقال : أبا عبد الله ، رحمك الله ! ائذن لي فلأخرج إليهما ؛ فرأى حسين رجُلا آدم طويلا شديدَ الساعدين بعيدَ ما بين المنكبين ، فقال حسين : إنّي لأحسبه للأقران قتَّالا ، اخرجْ إن شئتَ ؛ قال : فخرج إليهما ، فقالا له : مَنْ أنت ؟ فانتَسَب لهما ، فقالا : لا نعرفك ، ليخرجْ إلينا زهير بن القَيْن أو حبيب بن مُظاهر أو بُرَيْر بن حُضَيْر ، ويسار مُستنتِل(1) أمامَ سالم ، فقال له الكلبيّ : يا ابن الزانية ، وبك رغبةٌ عن مُبارَزة أحد من الناس ، وما يخرج إليك أحد من الناس إلا وهو

(1) استنتل للأمر : استعدَّ له .

خير منك ؛ ثمّ شدّ عليه فضربه بسيفه حتى برد ، فإنه لمشتغل به يضربه بسيفه إذ شدّ عليه سالم ، فصاح به : قد رَهَقك العبد ؛ قال : فلم يأبه له حتى غشيَه فبدَره الضّربة ، فاتّقاه الكلبىّ بيده اليسرى ، فأطار أصابع كفّه اليسرى ، ثم مال عليه الكلبىّ فضربه حتى قتله ، وأقبل الكلبىّ مرتجزا وهو يقول ، وقد قتلهما جميعًا :

إنْ تُنكِرونى فأنا ابن كلبِ حَسْبى بَيْتِى فى عُلَيمٍ حَسْبى

إنى امرُؤٌ ذو مِرّة وَعصْبِ ولستُ بالخَوّارِ عندَ النَّكْبِ

إنّى زعيمٌ لكِ أمَّ وهب بالطعنِ فيهمْ مُقدِماً والضربِ

* ضَرْبِ غُلام مؤمنٍ بِالرَّبِّ *

فأخذتْ أمّ وهب امرأته عمودًا ، ثم أقبلتْ نحو زوجها تقول له : فداك أبى وأمى ! قاتِلْ دون الطيّبين ذريّة محمد ، فأقبل إليها يردّها نحو النّساء فأخذتْ تجاذب ثوبَه ، ثمّ قالت : إنى لن أدَعَك دون أن أموت معك ، فناداها[1] حسين ، فقال : جُزيتم من أهلِ بيت خيراً ، ارجعى رحمكِ الله إلى النساء فاجلسى معهنّ ، فإنه ليس على النساء قتال ؛ فانصرفت إليهنّ . قال : وحَمَل عمرو بن الحجّاج وهو على ميمنة الناس فى الميمنة ، فلما أنْ دنا من حسين جَثَوْا له على الرُّكَب ، وأشرَعوا الرماح نحوهم ، فلم تقدم خيلهم على الرماح ، فذهبت الخيل لترجع ، فرَشَقُوهم بالنَّبل ، فصرعوا منهم رجالا ، وجرَحوا منهم آخرين .

قال أبو مخنف : فحدّثنى حسين أبو جعفر ، قال : ثمّ إنّ رجلاً من بنى تميم — يقال له عبد الله بن حَوْزة — جاء حتى وقف أمام الحسين ، فقال : يا حسين ، يا حسين ! فقال حسين : ما تشاء ؟ قال : أبشرْ بالنار ؛ قال : كلاّ ، إنى أقدِم على ربّ رحيم ، وشفيع مطاع ، مَن هذا ؟ قال له أصحابه : هذا ابن حَوْزة ؛ قال : ربِّ حُزْه إلى النار ؛ قال : فاضطرب به فرسُه فى

(١) ف : « فنادى » .

جدْوَل فوقع فيه ، وتعلّقتْ رجلُه بالركاب ، ووقع رأسُه في الأرض ، ونَفَر الفرس ، فأخذ يمرّ به فيضرب برأسه كلّ حجرٍ وكلّ شجرة حتى مات .

قال أبو مخنف : وأمّا سُوَيد بن حيّة ؛ فزعم لي أنّ عبد الله بن حَوْزة حين وقع فرسه بقيتْ رجلُه اليسرى في الرّكاب ، وارتفعت اليُمنى فطارت ، وعَدَا به فرسُه يضرب رأسه كلّ حَجَر وأصل شجرة حتى مات .

قال أبو مخنف عن عطاء بن السائب ، عن عبد الجبّار بن وائل الحضرميّ ، عن أخيه مسروق بن وائل ، قال : كنتُ في أوائل الخيل ممن سار إلى الحسين ، فقلت : أكون في أوائلها لعلّي أصيب رأسَ الحسين ، فأصيب به منزلةً عند عُبيد الله بن زياد ؛ قال : فلما انتهينا إلى حسين تقدّم رجلٌ من القوم يقال له ابن حَوْزة ، فقال : أفيكم حسين ؟ قال : فسكَت حسينٌ ؛ فقالها ثانية ، فأسكت حتى إذا كانت الثالثة قال : قولوا له : نَعَم ، هذا حسين ، فما حاجتُك ؟ قال : يا حسين ، أبشرْ بالنار ؛ قال : كذبتَ ، بل أقدم على ربٍّ غفور وشفيع مطاع ، فمَن أنت ؟ قال : ابن حَوْزة ؛ قال ؛ فرفع الحسين يدَيه حتى رأينا بياض إبطَيْه من فوق الثياب ثم قال : اللهمّ حُزْه إلى النار ؛ قال : فغضب ابن حَوْزة ، فذهب ليُقحم إليه الفرس وبينه وبينه نهر ؛ قال : فعلّقتْ قدمُه بالرّكاب ، وجالت به الفرس فسقط عنها ؛ قال : فانقطعت قدمه وساقُه وفخذُه ، وبقيَ جانبه الآخر متعلقًا بالرّكاب . قال : فرجع مسروق وترك الخيلَ من ورائه ؛ قال : فسألتُه ، فقال : لقد رأيتُ من أهل هذا البيت شيئاً لا أقاتلهم أبداً ؛ قال : ونشب القتال .

قال أبو مخنف : وحدّثني يوسف بن يزيد ، عن عفيف بن زهير بن أبي الأخنس — وكان قد شهد مقتلَ الحسين — قال : وخرج يزيد بن معقل من بني عَميرة بن ربيعة وهو حليف لبني سَليمة من عبد القيس ، فقال : يا بُرَيْر ابن حُضَير ، كيف ترى الله صَنَعَ بك ! قال : صنع اللهُ واللهِ بي خيراً ،

وصنع الله بك شرًّا ؛ قال : كذبتَ ، وقبل اليوم ما كنت كذّابًا ، هل تذكر وأنا أماشيك فى بنى لوذان وأنت تقول : إنّ عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفًا ، وإنّ معاوية بن أبى سفْيان ضالّ مُضلّ ، وإن إمام الهدى والحقّ علىّ بن أبى طالب ؟ فقال له برير: أشهد أنّ هذا رأيى وقولى ؛ فقال له يزيد بن معقل: فإنّى أشهد أنك من الضالين ؛ فقال له بُرَير بن حُضَير : هل لك فلأُ باهلْك[1] ، ولندْعُ اللهَ أن يلعن الكاذب وأن يقتل المبطل ، ثمّ اخرجْ فلأبارزك ؛ قال : فخرجا فرفعا أيديَهما إلى الله يدعوانه أن يلعن الكاذب ، وأن يقتل المُحقُّ المبطلَ ؛ ثم برز كلّ واحدمنهما لصاحبه ، فاختلفا ضربتين ، فضَرب يزيدُ بن معقل بُرَيْر بن حُضير ضربةً خفيفة لم تضرّه شيئًا ، وضربه برير بن حُضير ضربةً قدّت المغفَر ، وبلغت الدّماغَ ، فخرّ كأنما هَوَى من حالق ، وإن سيف ابنَ حُضَير لثابت فى رأسه ، فكأنى أنظر إليه يُنضْنضه[2] من رأسه ، وحمل عليه رضىّ بن مُنقذ العبدىّ فاعتنق بُرَيرًا ، فاعتركا ساعةً . ثمّ إنّ بُريرًا قعد على صدره فقال رضىّ : أين أهل المصاع[3] والدفاع ؟ قال : فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدىّ ليحمل عليه ، فقلت : إنّ هذا بُرَير بن حُضير القارئ الذى كان يقرئنا القرآن فى المسجد ؛ فحمل عليه بالرّمح حتى وضعه فى ظهره ، فلمّا وجد مسّ الرّمح برك عليه فعضّ بوجهه ، وقطع طرف أنفه ، فطعنه كعب ابن جابر حتى ألقاه عنه ، وقد غيّب السنانَ فى ظهره ، ثمّ أقبل عليه يضربه بسيفه حتى قتله ؛ قال عفيف : كأنى أنظر إلى العبدىّ الصريع قام ينفُض الترابَ عن قَبائه ، ويقول : أنعمت علىّ يا أخا الأزد نعمةً لن أنساها أبداً ؛ قال : فقلت : أنت رأيت هذا ؟ قال : نعم ، رأىَ عينى وسمْعَ أذنى .

فلمّا رجع كعب بن جابر قالت له امرأته ، أو أخته النّوار بنت جابر :

---

(١) باهل القوم بعضهم بعضاً وتباهلوا وابتهلوا : تلاعنوا ، والمباهلة : الملاعنة ؛ ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا فى شىء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا .

(٢) ينضنضه ؛ أى يحركه .

(٣) المصاع : المجالدة .

أعنتَ على ابن فاطمةَ ، وقتلتَ سيِّد القُرَّاء؛ لقد أتيتَ عظيمًا من الأمر ، والله لا أكلِّمك من رأسى كلمةً أبداً .

وقال كعب بن جابر :

سَلِى تُخبَرى عنّى وأنتِ ذميمةٌ — غداةَ حُسينٍ والرِّماحُ شوارعُ
ألم آتِ أقصى ما كرهتِ ولَم يُخِلْ — علىَّ غداةَ الرَّوْع ما أنا صانعُ
معِى يَزَنِىٌّ لم تَخُنْه كعوبُهُ — وأبْيضُ مخشوبُ الغِرَارين قاطع[1]
فجرَّدْتُه فى عُصبةٍ ليس دينُهمْ — بدينى وإنِّى بابنِ حربٍ لقانعُ
ولم تَر عينِى مِثلهم فى زمانِهمْ — ولا قبلَهم فى الناس إذ أنا يافعُ
أشدَّ قِراعاً بالسيوفِ لدى الوَغَى — ألا كلُّ منْ يحمِى الذِّمارَ مُقارعُ
وقد صبرُوا للطعنِ والضربِ حُسَّرًا — وقد نازلوا لو أنَّ ذلك نافعُ
فأبلغْ عبيدَ اللهِ إمّا لقِيتَه — بأنِّى مُطيعٌ للخليفةِ سامعُ
قَتلتُ بُريرًا ثم حَمَّلتُ نِعمةً — أبا مُنقذٍ لمَّا دعا : مَن يُماصعُ؟

قال أبو مخنف : حدَّثنى عبد الرحمن بن جُندَب ، قال : سمعتُه فى إمارة مُصْعَب بن الزُّبير ؛ وهو يقول : ياربِّ إنا قد وَفيْنا ، فلاتجعلنا ياربِّ كمن قد غدر ؛ فقال له أبى : صدق ، ولقد وَفَى وكَرُم ، وكَسبتَ لنفسك شرًّا ؛ قال : كلا ، إنِّى لم أكسب لنفسى شرًّا ، ولكنِّى كسبتُ لها خيراً .

قال : وزعموا أن رضىَّ بن منقذ العبدىَّ ردَّ بعدُ على كعب بن جابر جوابَ قوله ، فقال :

لو شاء ربِّى ما شهدتُ قِتَالَهُمْ — ولا جعَل النَّعْماءَ عندى ابْنُ جابرِ
لقد كانَ ذاك اليومُ عارًا وسُبَّـةً — يُعيِّرُهُ الأبناءُ بعد المعاشرِ
فياليتَ أنى كنتُ مِن قبلِ قتلِهِ — ويوم حُسينٍ كنت فى رَمْسِ قابرِ

(١) اليزنى : الرمح ؛ وسميت الرماح يزنيّة ؛ لأن أول من عملت له ذو يزن . وسيف مخشوب ، أى شحيذ . وغرارا السيف : حدّاه .

قال : وخرج عَمرو بن قَرَظَة الأنصاريُّ يقاتل دون حسين وهو يقول[1] :

قد علمَتْ كتيبةُ الأنصار أنّي سَأَحْمِي حوْزَةَ الذِّمارِ
ضَرْبَ غُلامٍ غيرِ نِكْسٍ شارِي دون حسينٍ مُهجتى وداري[2]

قال أبو مخنف : عن ثابت بن هبيرة ، فقتل عَمرو بن قَرَظة بن كعب ، وكان مع الحسين، وكان عليّ أخوه مع عمر بن سعد، فنادى عليُّ بنُ قريظة : يا حسينُ، يا كذّاب ابن الكذّاب ، أضللتَ أخي وغررتَه حتى قتلتَه . قال : إنّ الله لم يضلّ أخاك ، ولكنه هَدَى أخاك وأضلّك ؛ قال : قَتَلني اللهُ إن لم أقتلك أو أموتَ دونك ؛ فحمَل عليه ، فاعترضه نافع بن هلال المراديّ ، فطعنه فصرعه ، فحمله أصحابُه فاستنقذوه ، فدُووِى بعدُ فبَرَأ .

قال أبو مخنف : حدّثني النّضر بن صالح أبو زهير العبسيّ أنّ الحرّ بن يزيدَ لما لحق بحسين قال رجل من بني تميم من بني شَقِرة وهم بنو الحارث بن تميم ، يقال له يزيد بن سُفيان : أما والله لو أني رأيتُ الحُرَّ بنَ يزيدَ حين خرج لأتبعته السِّنان ؛ قال : فبينا الناس يتجاولون ويقتتلون والحرّ بن يزيدَ يَحمل على القوم مقدمًا ويتمثّل قولَ عَنْتَرة :

ما زِلتُ أرْميهِمْ بثُغْرَةِ نَحْرِهِ وَلَبانِهِ حتَّى تَسَربَلَ بالدَّمِ[3]

قال : وإنّ فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبه ، وإن دماءه لتَسيل ، فقال الحصين بن تميم — وكان على شُرطة عبيد الله، فبعثه إلى الحسين ، وكان مع عمر بن سعد، فولّاه عمر مع الشرطة المجفّفة[4] — ليزيد بن سُفْيان : هذا الحرّ بن يزيد الذى كنت تتمنّى ؛ قال : نعم فخرج إليه فقال له : هل لك ياحرّ بن يزيد فى المبارزة ؟ قال : نعم قد شئتُ ، فبرز له ؛ قال : فأنا سمعتُ الحصين بن تميم يقول : واللهِ لأبرز له ؛ فكأنما كانت نفسُه فى يده ،

(1) ف : « يرتجز » . (2) ف : « جنّتى وداري » .
(3) من المعلقة ٢٠٤ — بشرح التبريزى . واللبان : الصدر .
(4) المجففة : اللابسة التجفاف ، بكسر التاء؛ اسم آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه فى الحرب .

فما لبثه الحر حين خرج إليه أن قتله .

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني يحيى بن هانئ بن عروة ، أن نافع بن هلال كان يقاتل يومئذ وهو يقول : « أنا الجملي ، أنا على دين علي » .

قال : فخرج إليه رجل يقال له مزاحم بن حريث ، فقال : أنا على دين عثمان ، فقال له : أنت على دين شيطان ، ثم حمل عليه فقتله ، فصاح عمرو ابن الحجاج بالناس : يا حمقى ، أتدرون من تقاتلون! فرسان المصر ؛ قوماً مستميتين ، لا يبرزن لهم منكم أحد ، فإنهم قليل ، وقلما يبقون ، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم ؛ فقال عمر بن سعد : صدقت ، الرأي ما رأيت ، وأرسل إلى الناس يعزم عليهم ألا يبارز رجل منكم رجلاً منهم .

قال أبو مخنف : حدثني الحسين بن عقبة المرادي ، قال : الزبيدي : إنه سمع عمرو بن الحجاج حين دنا من أصحاب الحسين يقول : يا أهل الكوفة ، الزموا طاعتكم وجماعتكم ، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين ، وخالف الإمام ، فقال له الحسين : يا عمرو بن الحجاج ، أعلي تحرض الناس ؟ أنحن مرقنا وأنتم ثبتم عليه ؟ أما والله لتعلمن لو قد قبضت أرواحكم ، ومتم على أعمالكم ، أينا مرق من الدين ، ومن هو أولى بصلي النار ! قال : ثم إن عمرو بن الحجاج حمل على الحسين في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفرات ، فاضطربوا ساعة ؛ فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي أول أصحاب الحسين ، ثم انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه ، وارتفعت الغبرة ، فإذا هم به صريع ، فمشى إليه الحسين فإذا به رمق ، فقال : رحمك ربك يا مسلم بن عوسجة ، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1] . ودنا منه حبيب بن مظاهر فقال : عز علي مصرعك يا مسلم ، أبشر بالجنة ، فقال له مسلم قولاً ضعيفاً : بشرك الله بخير ! فقال [له حبيب] : لولا أني

(١) سورة الأحزاب : ٢٣ .

أعلم أنّى فى أثرك لاحقٌ بك من ساعتى هذه لأحببتُ أن توصينى بكلّ ماأهمّك حتى أحفظك فى كلّ ذلك بما أنت أهلٌ له فى القرابة والدّين ؛ قال: بل أنا أوصيك بهذارحمك الله — وأهوَى بيده إلى الحسين — أن تموت دونه، قال : أفعل وربِّ الكعبة ؛ قال : فما كان بأسرع من أن مات فى أيديهم ، وصاحت جاريةٌ له فقالت : يا بن عوسجتاهْ ! يا سيّداهْ! فتنادَى أصحاب عمرو بن الحجاج : قتلْنا مسلمَ بنَ عوسجة الأسدىّ ؛ فقال شَبَث لبعض مَن حوله من أصحابه : ثكلتْكم أمهاتكم ! إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم ، وتذللون أنفسكم لغيركم ، تفرحون أن يُقتَل مثل مسلم بن عوسجة ! أما والذى أسلمت له لرُبَّ موقف له قد رأيته فى المسلمين كريم ! لقد رأيته يوم سلَق آذربيجان قتَل ستّةً من المشركين قبل تمامّ خيول المسلمين ، أفيُقتل منكم مثله وتفرحون !

قال : وكان الذى قتل مسلمَ بن عوْسجة مسلمُ بن عبد الله الضِّبابىّ وعبد الرحمن بن أبى خُشْكارة البَجَلىّ . قال : وحمل شَمِر بن ذى الجَوْشن فى الميسرة على أهل الميسرة فثبتوا له ، فطاعنوه وأصحابه ، وحَمَل على حسين وأصحابه من كلّ جانب ، فقُتل الكلبىّ وقد قتَل رجلين بعد الرّجلين الأوّلَين ، وقاتل قتالا شديداً ، فحمل عليه هانئ بن ثُبَيْت الحضرمىّ وبُكير ابن حىّ التيمىّ ، من تيم الله بن ثعلبة ، فقتَلاه ، وكان القتيلَ الثانى من أصحاب الحسين ، وقاتلهم أصحابُ الحسين قتالا شديداً ، وأخذتْ خيلُهم تحمل وإنما هم اثنان وثلاثون فارساً ، وأخذتْ لاتحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفتْه ، فلما رأى ذلك عَزْرَة بن قيس — وهو على خيل أهل الكوفة — أنّ خيله تنكشف من كلّ جانب ، بعث إلى عمر بن سعد عبدَ الرحمن ابن حصن ، فقال : أما ترى ما تلقى خيلى مذ اليوم من هذه العِدّة اليسيرة ! ابعث إليهم الرّجال والرّماةَ ؛ فقال لشَبَث بن رِبْعىّ : ألا تقدم إليهم ! فقال : سبحان الله! أتعمِد إلى شيخ مُضَر وأهلِ المصر عامة تبعثه فى الرّماة ! لم تجد مَنْ تندب لهذا ويجزئ عنك غيرى ! قال : وما زالوا يرون من شَبَث الكراهةَ لقتاله . قال : وقال أبو زهير العبسىّ : فأنا سمعتُه فى إمارة مصعب

يقول : لا يعطى الله أهلَ هذا المصر خيراً أبداً ، ولا يسدّدهم لرُشْد ، ألا تَعجبون أنّا قاتلْنا مع علىّ بن أبى طالب ومع ابنه من بعده آلَ أبى سُفْيان خمسَ سنين ، ثم عدَوْنا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سميّة الزانية ! ضلال يا لك من ضلال !

قال : ودعا عمر بن سعد الحصينَ بن تميم فبعث معه المجفّفة وخمسمائة من المرامية ، فأقبلوا حتى إذا دنَوْا من الحسين وأصحابه رشَقُوهم بالنّبل، فلم يَلبَثوا أن عقروا خيولهم ، وصاروا رَجّالةً كلّهم .

قال أبو مخنف : حدّثنى نُمير بن وَعْلة أن أيّوب بن مِشْرَح الخيْوانىّ كان يقول : أنا والله عقرتُ بالحُرّ بن يزيدَ فرسَه، حشأتُه[1] سهمًا ، فما لبث أن أرعِد الفرس واضطرب وكبا ، فوثَب عنه الحرّ كأنه ليث والسيف فى يده وهو يقول :

إن تَعْقِرُوا بى فأنا ابنُ الحُرّ أَشْجَعُ مِن ذى لِبَدٍ هِزَبْرِ

قال : فما رأيت أحداً قطّ يفرى فرْيَه؛ قال : فقال له أشياخٌ من الحىّ: أنت قتلتَه ؟ قال : لا والله ما أنا قتلتُه ، ولكنْ قتله غيرى ، وما أحبّ أنى قتلتُه ، فقال له أبو الودّاك : ولِمَ ؟ قال : إنه كان زعموا من الصّالحين ، فوالله لئن كان ذلك إثمًا لأنْ ألقى الله بإثم الجراحة والموقف أحبّ إلىّ من أن ألقاه بإثم قتل أحد منهم؛ فقال له أبو الودّاك : ما أراك إلا ستلقَى الله بإثم قتلِهم أجمعين ؛ أرأيتَ لو أنك رميتَ ذا فعقرت ذا ، ورميتَ آخرَ ، ووقفتَ موقفًا ، وكررتَ عليهم ، وحرّضتَ أصحابك ، وكثّرت أصحابك ، وحُمل عليك فكرهت أن تفرّ ، وفعل آخر من أصحابك كفعلك ، وآخر وآخر ، كان هذا وأصحابه يقتلون ! أنتم شركاءُ كلكم فى دمائهم ؛ فقال له : يا أبا الودّاك، إنك لتقنّطنا من رحمة الله ، إن كنتَ ولىّ حسابنا يوم القيامة فلا غفَر الله لكَ إنْ غفرتَ لنا ! قال : هو ما أقول لك ؛ قال : وقاتلوهم حتى انتصف

[1] حشأه بالسهم ، أى رماه فأصاب به جوفه .

النهار أشدّ قتال خَلْقِه الله ، وأخذوا لا يقدرون على أن يأتوهم إلّا من وجه واحد لاجتماع أبنيتهم وتقارُبِ بعضِها من بعض .

قال : فلما رأى ذلك عمر بن سعد أرسل رجالاً يقوّضونها عن أيمانهم وعن شمائلهم ليحيطوا بهم ؛ قال : فأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين يتخلّلون البيوت فيشدّون على الرجل وهو يقوّض وينتهب فيقتلونه ويرمُونه من قريب ويعقرونه ، فأمر بها عمر بن سعد عند ذلك فقال : أحرقوها بالنار ، ولا تَدخُلوا بيتًا ولا تقوّضوه ، فجاءوا بالنار ، فأخذوا يحرّقون ، فقال حسين : دَعُوهم فليحرقوها ، فإنهم لو قد حرّقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها ، وكان ذلك كذلك ، وأخذوا لا يقاتلونهم إلاّ من وجه واحد . قال : وخرجت امرأة الكلبيّ تمشي إلى زوجها حتى جلستْ عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول : هنيئًا لك الجنّة ! فقال شمِر بن ذي الجوْشَن لغلام يسمّى رُستَم : اضرب رأسَها بالعمود ؛ فضرب رأسَها فشَدَخه ، فماتت مكانَها ؛ قال : وحَمَل شَمِر بن ذي الجوشن حتى طعن[1] فسطاط الحسين برمحه ، ونادى : عليّ بالنار حتى أحرّقَ هذا البيت على أهله ؛ قال : فصاح النساء وخرجن من الفسطاط ؛ قال : وصاح به الحسين : يابن ذي الجوشَن ، أنت تدعو بالنار لتحرّق بيتي على أهلي ، حرّقك الله بالنار !

قال أبو مخنف : حدّثني سليمان بن أبي راشد ، عن حُميد بن مسلم ، قال : قلت لشَمر بن ذي الجوشن : سبحان الله ! إنّ هذا لا يصلح لك ، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين. تعذّب بعذاب الله ، وتقتل الولدان والنساء! والله إنّ في قتلك الرجال لما ترضي به أميرك ؛ قال : فقال : من أنت ؟ قال : قلت : لا أخبرك من أنا ، قال : وخشيتُ والله أن لو عرفني أن يضرّني عند السلطان ؛ قال : فجاءه رجل كان أطوَعَ له مني ؛ شَبَث بن ربْعيّ . فقال : ما رأيتُ مقالا أسوأ من قولك ، ولا موقفًا أقبحَ من موقفك ، أمُرعِبًا للنساء صرتَ ! قال : فأشهد أنه استحيا ، فذهب لينصرف . وحَمَل عليه زهيرُ ابن القَيْن في رجال من أصحابه عشرة ، فشدّ على شمِر بن ذي الجوْشن

(١) ابن الأثير « بلغ » .

وأصحابه ، فكشفهم عن البيوت حتى ارتفعوا عنها ، فصرعوا أبا عزة الضِّبابىّ فقتلوه ، فكان من أصحاب شمر ، وتعطف الناس عليهم فكثروهم ، فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قتل ، فإذا قتل منهم الرّجل والرّجلان تبيّن فيهم ، وأولئك كثير لا يتبيّن فيهم ما يقتل منهم ؛ قال : فلما رأى ذلك أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدىّ قال للحسين : يا أبا عبد الله ؛ نفسى لك الفداء ! إنى أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ، ولا والله لا تُقتل حتى أُقتلَ دونك إن شاء الله ، وأحبّ أن ألقى ربى وقد صلّيتُ هذه الصلاة التى دنا وقتُها ؛ قال : فرفع الحسينُ رأسَه ثم قال : ذكرتَ الصلاة ، جعلك الله من المصلّين الذاكرين ! نعم ، هذا أوّل وقتها ؛ ثم قال : سلوهم أن يكفّوا عنا حتى نصلّى ؛ فقال لهم الحصين بن تميم : إنها لا تُقبَل ؛ فقال له حبيب بن مظاهر : لا تُقبَل زعمتَ ! الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تُقبلَ وتُقبَل منك يا حمار ! قال : فحمل عليهم حصين بن تميم ، وخرج إليه حبيب بن مظاهر ، فضرب وجه فرسه بالسيف ، فشبّ ووقع عنه ، وحمله أصحابُه فاستنقذوه ، وأخذ حبيب يقول :

أُقسِمُ لو كُنّا لكم أعْدادَا ... أو شَطْرَكمْ ولَّيتُمْ أكتادَا[1]

* يا شَرَّ قوم حَسَباً وَآدا[2] *

قال : وجعل يقول يومئذ :

أنا حبيب وأبِى مُظاهِرُ ... فارِسُ هيجاءَ وحرب تُسعَرُ

أنتمْ أعَدُّ عُدَّة وأكثرُ ... ونحن أوفَى منكُمُ وأصْبَرُ

ونحن أعْلى حُجّةً وأظهرُ ... حقًّا وأتقَى منكمُ وأعْذَرُ

وقاتل قتالاً شديداً ، فحمل عليه رجلٌ من بنى تميم فضربه بالسيف على رأسه فقتله — وكان يقال له : بديل بن صُرَيْم من بنى عُقْفان — وحمل

(١) أكتادا : جماعات . (٢) الآد : الأصل .

عليه آخرُ من بنى تميم فطعنه فوقع ، فذهب ليقوم ، فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف ، فوقع ، ونزل إليه التميميّ فاحتزّ رأسه ، فقال له الحصين : إنّى لشريكك فى قتله ، فقال الآخر : والله ما قتلَه غيرى ؛ فقال الحصين : أعطِنيه أعلّقْه فى عُنق فرسى كيْما يرى الناسُ ويَعلَموا أنى شرَكتُ فى قتله ؛ ثم خذه أنت بعدُ فامضِ به إلى عبيد الله بن زياد، فلا حاجةَ لى فيما تعطاه على قتلك إياه . قال : فأبى عليه ، فأصلح قومه فيما بينهما على هذا ، فدفع إليه رأسَ حبيب بن مظاهر ، فجال به فى العسكر قد علّقه فى عنق فرسه ، ثمّ دفعه بعد ذلك إليه ، فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخرُ رأسَ حبيب فعلقه فى لَبان[1] فرسه ، ثمّ أقبل به إلى ابن زياد فى القصر فبَصُربه ابنُه القاسم بن حبيب ، وهو يومئذ قد راهق ، فأقبل مع الفارس لا يفارقه، كلّما دخل القصر دخل معه ، وإذا خرج خرج معه ، فارتاب به ، فقال : مالك يا بنىّ تتبعنى! قال : لا شىء ، قال : بلى ، يابنىّ أخبرنى ، قال له : إنّ هذا الرأس الذى معك رأس أبى ، أفتعطينيه حتى أدفنَه ؟ قال : يا بنىّ ، لا يرضى الأميرُ أن يُدفَن ، وأنا أريد أن يثيبَنى الأميرُ على قتله ثوابًا حسنًا ؛ قال له الغلام : لكنّ الله لا يثيبك على ذلك إلا أسوأ الثواب ؛ أما والله لقد قتلتَ خيراً منك ، وبكى . فمكث الغلامُ حتى إذا أدرك لم يكن له همّةٌ إلا اتّباعُ أثر قاتل أبيه ليجد منه غِرّةً فيقتلَه بأبيه ، فلما كان زمان مُصعَب بن الزبير وغزا مصعب باجُمَيْرا دخل عسكرَ مصعب فإذا قاتِلُ أبيه فى فسطاطه ، فأقبل يختلف فى طلبه والتماس غِرّته ، فدخل عليه وهو قائلٌ نصفَ النهار فضربه بسيفه حتى برد .

قال أبو مخنف : حدّثنى محمد بن قيس ، قال : لما قُتِل حبيب بن مظاهر هدّ ذلك حسينًا وقال عند ذلك : أحتَسِب نفسى وحُماةَ أصحابى ، قال : فأخذ الحُرّ يرتجز ويقول :

آليتُ لا أُقتلُ حتّى أَقتُلاَ   ولنْ أُصابَ اليومَ إلاَّ مُقبلاَ

---

(١) لبان الفرس : صدره .

أضْرِبُهُمْ بالسيفِ ضَرْبًا مِقْصَلاَ لا ناكِلاً عَنْهمْ وَلا مهَلّلاَ[1]

وأخذ يقول أيضًا :

أَضرِبُ فى أعراضِهمْ بالسيفْ عن خيرِ مَنْ حَلّ مِنًى والخَيْفْ

فقاتل هو وزهير بن القَيْن قتالا شديداً ، فكان إذا شدّ أحدُهما ؛ فإن استُلحِم[2] شدّ الآخر حتى يخلّصه ، ففعلا ذلك ساعة . ثمّ إنّ رجّالة شدّت على الحرّ بن يزيد فقتل ، وقتَل أبو ثمامة الصائدىّ ابنَ عمٍّ له كان عدوًّا له ، ثم صلّوا الظهر ، صلى بهم الحسين صلاةَ الخوف ، ثمّ اقتتلوا بعد الظهر فاشتدّ قتالهم ، ووُصِل إلى الحسين ، فاستقدم الحنفىّ أمامَه ، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل يمينًا وشمالاً قائمًا بين يديه ، فما زال يُرمى حتى سقط . وقاتل زهير بن القَيْن قتالاً شديداً ، وأخذ يقول :

أنا زُهيرٌ وأنا ابْنُ القَيْنِ أَذُودُهمْ بالسيفِ عن حسين

قال : وأخذ يَضرِب على مَنكِب حسين ويقول :

أَقدِمْ هُدِيتَ هادِياً مَهدِيًّا فاليومَ تَلقَى جَدَّكَ النَّبِيًّا

وحَسناً والمرتضَى عليًّا وذَا الجنَاحَيْنِ الفتَى الكَمِيًّا

* وأَسدَ اللهِ الشهيدَ الحيًّا *

قال : فشدّ عليه كثيرُ بن عبد الله الشعبىّ ومهاجرُ بن أوْس فقتَلاه ، قال : وكان نافع بن هلال الجملىّ قد كتب اسمَه على أفواق نَبْله ، فجعل يرمى بها مسوّمةً وهو يقول : « أنا الجمَلى ، أنَا على دِينِ عَلِي » .

فقَتل اثنى عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى مَنْ جرح ؛ قال : فضرِب حتى كُسرت عضداه وأخذ أسيراً ؛ قال : فأخذه شمِر بن ذى الجوشن

---

(1) س : « مغللا » .

(2) استلحم : روهق فى القتال .

ومعه أصحاب له يسوقون نافعًا حتى أُتِيَ به عمر بن سعد ، فقال له عمر بن سعد : وَيْحك يا نافع ! ما حَمَلك على ما صنعتَ بنفسك ! قال : إنّ ربى يعلم ما أردتُ ؛ قال : والدماء تسيل على لحيته وهو يقول : والله لقد قتلتُ منكم اثنى عشر سوَى مَن جرحتُ ، وما ألوم نفسى على الجهد ، ولو بقيَتْ لى عضد وساعدٌ ما أسرتمونى ، فقال له شمِر : اُقتُله أصلحك الله ! قال : أنت جئتَ به ، فإن شئتَ فاقتله ، قال : فانتضَى شمر سيفَه ، فقال له نافع : أما والله أنْ لو كنت من المسلمين لعَظُم عليك أن تلقى اللهَ بدمائنا ، فالحمد لله الذى جعل منايانا على يدىْ شِرارِ خلقه ؛ فقتله .

قال : ثمّ أقبل شمِر يحمل عليهم وهو يقول :

خَلُّوا عُداةَ اللهِ خلُّوا عن شَمِرْ يَضرِبُهُمْ بسيفه وَلَا يَفِرّْ

* وهو لكم صابٌ وسَمٌّ ومَقِرْ[1] *

قال : فلما رأى أصحابُ الحسين أنهم قد كثُروا ، وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا حسينًا ولا أنفسَهم ، تنافسوا فى أن يُقتَلوا بين يديه ، فجاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزْرة الغِفاريّان ، فقالا : يا أبا عبد الله ، عليك السلام ، حازَنا العدوّ إليك ، فأحبَبْنا أن نُقتَل بين يدَيْك ، نمنعك وندفع عنك ، قال : مرحبًا بكما ! ادنُوَا منّى ، فدنَوَا منه ، فجعلا يقاتلان قريبًا منه ، وأحدهما يقول :

قد علِمتْ حقًّا بنو غِفَارِ وَخِنْدِفٌ بعد بنى نزارِ

لَنَضْرِبَنَّ معْشَرَ الفُجّارِ بكلّ عَضْبٍ صارمٍ بَتّارِ

ياقوم ذُودُوا عن بنى الأَحرارِ بالمَشْرَفِىّ وَالقَنَــا الخطّارِ

قال : وجاء الفتَيان الجابريّان : سيف بن الحارث بن سُرَيْع ، ومالك ابن عبد بن سريع ، وهما ابنا عمّ ، وأخَوان لأمّ ، فأتيا حسينًا فدنَوَا منه وهما

---

(١) المقر : المر ، قال أبو حنيفة : هو نبات ينبت ورقًا . فى غير أفنان .

يبكيان ، فقال : أىْ ابنَىْ أخى ، ما يُبكيكما ؟ فوالله إنّى لأرجو أن تكونا عن ساعة قريرىْ عين ، قالا : جعلنا الله فِداك ! لا والله ما على أنفسنا نبكى ، ولكنّا نبكى عليك ، نراك قد أحيط بك ، ولا نقدر على أن نمنعك ؛ فقال : جزاكما الله يا بنَىْ أخى بوَجْدكما من ذلك ومواساتكما إيّاى بأنفسكما أحسنَ جزاءِ المتقين ؛ قال : وجاء حنظلة بن أسعد الشِّبامىّ فقام بين يدىْ حسين ، فأخذ ينادى: ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ * وَيَاقَوْمِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[1] يا قوم تقتلوا حسينًا فيُسْحِتكُمْ الله بعذاب ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾[2] فقال له حسين: يابن أسعد ، رحمك الله ، إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتَهم إليه من الحقّ ، ونهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابَك، فكيف بهم الآن وقد قَتلوا إخوانَك الصالحين ! قال : صدقت ، جعلت فداك ! أنت أفقه منّى وأحقّ بذلك ، أفلا نروح[3] إلى الآخرة ونلحق بإخواننا ؟ فقال : رُحْ إلى خيرٍ من الدنيا وما فيها ، وإلى مُلْكٍ لا يَبْلَى، فقال: السلام عليك أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك ، وعرّف بيننا وبينك فى جنّته ، فقال : آمين آمين ؛ فاستقدم فقاتل حتى قُتل .

قال : ثمّ استقدم الفَتَيان الجابريّان يلتفتان إلى حسين ويقولان : السّلام عليك يابنَ رسول الله ، فقال : وعليكما السلام ورحمة الله ؛ فقاتَلا حتى قُتلا ؛ قال: وجاء عابس بن أبى شَبيب الشاكرىّ ومعه شوْذَب مولَى شاكر ، فقال : ياشَوْذب ، ما فى نفسك أن تصنع ؟ قال : ما أصنع ! أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقتل ؛ قال : ذلك الظنّ بك ، أمّا لا فتقدّمْ بين يدىْ أبى عبد الله حتى يحتسبك كما احتَسب غيرَك من أصحابه ، وحتى أحتسبك أنا ، فإنه لو كان معى الساعة أحدٌ أنا أوْلَى

(١) سورة غافر: ٣٠ - ٣٣ . (٢) سورة طه: ٦١ . (٣) ف : « تروح » .

به منّي بك لسرّني أن يتقدّم بين يديّ حتى أحتسبه، فإنّ هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجرَ فيه بكلّ ما قدَرْنا عليه، فإنه لا عملَ بعد اليوم، وإنما هو الحساب؛ قال: فتقدّم فسلّم على الحسين، ثم مضى فقاتل حتى قُتل. ثم قال عابس بن أبي شبيب: يا أبا عبد الله، أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريبٌ ولا بعيدٌ أعزّ عليّ ولا أحبّ إليّ منك؛ ولو قدرتُ على أن أدفع عنك الضيمَ والقتلَ بشيء أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلتُه؛ السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهدُ اللهَ أني على هَدْيك وهدْيِ أبيك؛ ثم مشى بالسيف مصلتاً نحوَهم وبه ضربة على جبينه.

قال أبو مخنف: حدّثني نُمير بن وَعْلة، عن رجل من بني عبد من هَمْدان يقال له ربيع بن تميم شهد ذلك اليوم، قال: لما رأيتُه مُقبلا عرفتُه وقد شاهدتُه في المغازي، وكان أشجعَ الناس، فقلت: أيُّها الناس، هذا الأسد الأسود، هذا ابن أبي شبيب؛ لا يخرجنّ إليه أحد منكم، فأخذ ينادي: ألا رجلٌ لرجل! فقال عمر بن سعد: ارضَخُوه بالحجارة؛ قال: فرُميَ بالحجارة من كلّ جانب، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفرَه، ثم شدّ على الناس، فوالله لرأيتُه يكرُد(١) أكثرَ من مائتين من الناس؛ ثم إنهم تعطّفوا عليه من كلّ جانب، فقتِل؛ قال: فرأيت رأسَه في أيدي رجال ذوي عُدّة؛ هذا يقول: أنا قتلته، وهذا يقول: أنا قتلته، فأتَوا عمرَ بن سعد فقال: لا تختصموا، هذا لم يقتلْه سِنان واحد، ففرّق بينهم بهذا القول.

قال أبو مخنف: حدّثني عبد الله بن عاصم، عن الضحّاك بن عبد الله المِشرقيّ، قال: لما رأيتُ أصحاب الحسين قد أصيبوا، وقد خلُص إليه وإلى أهل بيته، ولم يبق معه غيرُ سُوَيد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعميّ وبُشَير ابن عمرو الحضرميّ، قلت له: يابن رسول الله، قد علمتَ ما كان بيني وبينك؛ قلتُ لك: أقاتل عنك ما رأيتُ مقاتلا، فإذا لم أر مقاتلاً فأنا في حِلّ من الانصراف؛ فقلتَ لي: نعم؛ قال: فقال: صدقتَ، وكيف لك

(١) الكرد: الطرد.

بالنَّجاء ! إنْ قدَرتَ على ذلك فأنتَ فى حلٍّ ؛ قال: فأقبلتُ إلى فرسى وقد كنت حيث رأيت خيلَ أصحابنا تُعقَر، أقبلتُ بها حتى أدخلتها فسطاطًا لأصحابنا بين البيوت ، وأقبلت أقاتل معهم راجلاً ، فقتَلت يومئذ بين يدَىِ الحسين رجليْن ، وقطعت يدَ آخر ، وقال لى الحسين يومئذ مراراً : لا تُشلل ، لا يقطع الله يدَك ، جزاك الله خيراً عن أهل بيتِ نبيِّك صلى الله عليه وسلم! فلما أذن لى استخرجتُ الفرس من الفسطاط ، ثم استويْتُ على متْنها ، ثم ضربتُها حتى إذا قامت على السنابك رميتُ بها عُرْضَ القوم ، فأفرجوا لى ، واتبعنى منهم خمسة عشر رجلاً حتى انتهيتُ إلى شُفَيّة ؛ قرية قريبة من شاطئ الفُرات ، فلما لحقونى عطفتُ عليهم ، فعرَفنى كثير بن عبد الله الشعبىّ وأيوب بن مِشْرَح الخَيْوانىّ وقيس بن عبد الله الصائدىّ ، فقالوا : هذا الضحّاك بن عبد الله المِشرقىّ، هذا ابنُ عمِّنا ، نَنشُدكم اللهَ لما كففتم عنه! فقال ثلاثة نفر من بنى تميم كانوا معهم : بلى والله لنجيبنّ إخوانَنا وأهلَ دعوتنا إلى ما أحبّوا من الكفّ عن صاحبهم ؛ قال : فلما تابع التميميّون أصحابى كفّ الآخَرون ؛ قال : فنجّانى الله .

قال أبو مخنف : حدّثنى فُضَيل بن خُديج الكندى أنّ يزيد بن زياد؛ وهو أبو الشعثاء الكندىّ من بنى بَهْدَلة جثَا على ركبتيه بين يدى الحسين ، فرَمَى بمائة سهم ماسقط منها خمسة أسهم، وكان راميًا ، فكان كلّما رَمَى قال: أنا ابن بهدلهْ ، فُرْسانِ العَرْجلهْ ؛ ويقول حسين : اللهمّ سدّدْ رميتَه ، واجعلْ ثوابَه الجنّةَ ؛ فلما رمى بها قام فقال: ما سقط منها إلا خمسة أسهم ، ولقد تبيَّن لى أنى قد قتلتُ خمسة نفر ، وكان فى أوّل من قُتل، وكان رجزُه يومئذ :

أنا يزيدُ وأبى مُهاصِرْ ... أشجعُ من ليثٍ بِغيلٍ خادرْ[1]
يارِبِّ إنِّى للحسيْن ناصِرْ ... ولابن سعدٍ تاركٌ وهاجرْ

وكان يزيد بن زياد بن المهاصر ممّن خرج مع عُمر بن سعد إلى الحسين ،

(١) الغيل بالكسر : الشجر الكثير الملتفّ .

فلما ردّوا الشّروط على الحسين مال إليه فقاتل معه حتى قُتل ، فأمّا الصيداوىّ عمر بن خالد ، وجابر بن الحارث السلمانىّ ، وسعد مولى عمر بن خالد ، ومجمّع بن عبد الله العائذىّ ، فإنهم قاتلوا فى أوّل القتال ، فشدّوا مُقْدِمين بأسيافهم على الناس ، فلما وغلوا عطف عليهم الناس فأخذوا يحوزونهم ، وقطعوهم من أصحابهم غير بعيد ، فحمل عليهم العباس بن علىّ فاستنقذهم ، فجاءوا قد جُرِّحوا ، فلما دنا منهم عدوّهم شدّوا بأسيافهم فقاتلوا فى أوّل الأمر حتى قُتِلوا فى مكان واحد .

قال أبو مخنف : حدّثنى زهير بن عبد الرحمن بن زهير الخثعمىّ ، قال : كان آخر مَن بقى مع الحسين من أصحابه سُويد بن عَمرو بن أبى المطاع الخثعمىّ ، قال : وكان أوّل قتيل من بنى أبى طالب يومئذ علىّ الأكبر بن الحسين بن علىّ ، وأمه ليلى ابنة أبى مُرّة بن عُروة بن مسعود الثقفىّ ، وذلك أنه أخذ يشدّ على الناس وهو يقول :

أنا عَلِىُّ بنُ حسينِ بن عَلِى   نَحن وربِّ البيت أولَى بالنَّبِى

* تالله لا يَحْكُمُ فينا ابنُ الدَّعِى *

قال : ففعل ذلك مراراً ، فبَصربه مُرّة بن منقذ بن النعمان العبدىّ ثمّ الليثىّ ، فقال : علىّ آثامُ العرب إنْ مرّ بى يفعل مِثلَ ما كان يفعل إنْ لم أثكِله أباه ؛ فمرّ يشدّ على الناس بسيفه ، فاعترضه مرّة بن منقذ ، فطعنه فصُرِع ، واحتوله الناس فقطّعوه بأسيافهم .

قال أبو مخنف : حدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حميد بن مسلم الأزدىّ ، قال : سماعُ أذنى يومئذ من الحسين يقول : قتل الله قوماً قتلوك يا بنىّ ! ما أجرأهم على الرحمن ، وعلى انتهاك حرمة الرسول ! على الدنيا بعدك العَفاء . قال : وكأنى أنظر إلى امرأة خرجتْ مسرعةً كأنها الشمس الطالعة تنادى : يا أخيّاهْ ! ويا بن أخيّاهْ ! قال : فسألتُ عليها ، فقيل : هذه زينب ابنة فاطمةَ ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءت حتى أكبّت عليه ، فجاءها

الحسين فأخذ بيدها فردّها إلى الفسطاط ، وأقبل الحسين إلى ابنه ، وأقبل فتيانه إليه ، فقال : احملوا أخاكم ، فحملوه من مصرعه حتى وضعوه بين يدى الفسطاط الذى كانوا يقاتلون أمامه . قال : ثمّ إن عمرو بن صُبيح الصّدائىّ رَمى عبد الله بن مسلم بن عقيل بسهم فوضع كفّه على جبهته ، فأخذ لا يستطيع أن يحرّك كفّيه، ثم انتحى له بسهم آخرَ ففلق قلبه ، فاعتوَرهم الناس من كلّ جانب ، فحمل عبد الله بن قطبة الطائىّ ثمّ النّبهانىّ على عون بن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب فقتله ، وحمل عامر بن نَهشل التيمىُّ على محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فقتله ؛ قال : وشدّ عثمان بن خالد ابن أسيْر الجُهنىّ ، وبشر بن سوط الهمْدانىّ ثمّ القابضىّ على عبد الرحمن ابن عقيل بن أبى طالب فقتلاه ، ورمى عبد الله بن عزرة الخثعمىّ جعفرَ ابن عقيل بن أبى طالب فقتله .

قال أبو مخنف : حدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حُميد بن مسلم ، قال : خرج إلينا غلام كأنّ وجهه شقّة قمر ، فى يده السيف ، عليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شِسْع أحدهما ، ما أنسَى أنها اليسرى ، فقال لى عمرو ابن سعد بن نُفَيل الأزدىّ : والله لأشدّنّ عليه ؛ فقلت له : سبحان الله ! وما تريد إلى ذلك ! يكفيك قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتولوهم ؛ قال : فقال : والله لأشدّنّ عليه ؛ فشدّ عليه فما ولى حتى ضرب رأسَه بالسيف ، فوقع الغلامُ لوجهه ، فقال : يا عمّاه ! قال : فجلّى الحسين كما يجلّى الصقر ، ثم شدّ شدّةَ ليث غُضُبٍ ، فضرب عمراً بالسيف ، فاتقاه بالساعد ، فأطنّها من لدُن المرفق ، فصاح ، ثمّ تنحّى عنه ، وحملتْ خيلٌ لأهل الكوفة ليستنقذوا عمرًا من حسين ، فاستقبلت عمرًا بصدورها ، فحرّكت حوافرَها وجالت الخيل بفرسانها عليه ، فوطئته حتى مات ، وانجلت الغبرة ، فإذا أنا بالحسين قائمٌ على رأس الغلام ، والغلام يفحص برجليه ؛ وحسين يقولُ : بُعدًا لقوم قتلوك ، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدّك! ثم قال : عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يُجيبُك ، أو يجيبُك ثم لا ينفعك! صوتٌ والله كثُر واتِرُه ، وقلّ ناصرُه . ثم احتمله فكأنى أنظر إلى رِجلَى الغلام يخطّان فى الأرض ،

وقد وضع حسين صدرَه على صدره ؛ قال : فقلتُ فى نفسى : ما يصنع به ! فجاء به حتى ألقاه مع ابنه علىّ بن الحسين وقَتلَى قد قُتلتْ حوْلَه من أهل بيته ، فسألتُ عن الغلام ، فقيل: هو القاسم بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب.
قال : ومكث الحسين طويلاً من النهار كلّما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه ، وكره أن يتولّى قتلَه وعظيم إثمه عليه ؛ قال : وإنّ رجلا من كِنْدة يقال له مالك بن النُّسير من بنى بَدّاء ، أتاه فضربَه على رأسه بالسيف ، وعليه بُرنُس له ، فقطع البرنس ، وأصاب السيف رأسَه ، فأدمى رأسَه ، فامتلأ البرنس دمًا ، فقال له الحسين : لا أكلت بها ولا شربتَ ، وحشرك الله مع الظالمين ! قال : فألقى ذلك البرنس ، ثمّ دعا بقَلَنْسُوَة فلبسها ، واعتمّ ، وقد أعيا وبَلّد، وجاء الكندىّ حتى أخذ البرنس—وكان من خزّ — فلما قدم به بعد ذلك على امرأته أمّ عبد الله ابنة الحرّ أخت حسين بن الحرّ البَدّىّ ، أقبل يَغسِل البرنسَ من الدم ، فقالت له امرأته : أسَلبَ ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تدخِلُ بيتى ! أخرِجْه عنّى ؛ فذكر أصحابُه أنه لم يزل فقيراً بشرّ حتى مات . قال : ولما قعد الحسين أتى بصبىّ له فأجلَسَه فى حِجره زعموا أنه عبد الله بن الحسين .

قال أبو مخنف : قال عُقْبة بن بشير الأسدىّ : قال لى أبو جعفر محمد ابن علىّ بن الحسين : إنّ لنا فيكم يا بنى أسد دمًا ؛ قال : قلت : فما ذنبى أنا فى ذلك رحمك الله يا أبا جعفر! وما ذلك ؟ قال: أتِىَ الحسين بصبىّ له ، فهو فى حِجْره ، إذ رماه أحدُكم يا بنى أسد بسهم فذَبَحه ، فتلقى الحسينُ دمه ، فلما ملأ كفّيه صبّه فى الأرض ثم قال : ربّ إنْ تك حبستَ عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير ، وانتقمْ لنا من هؤلاء الظالمين ؛ قال : ورمى عبدُالله بن عقبة الغنوىّ أبا بكر بن الحسين بن علىّ بسهم فقتله ، فلذلك يقول الشاعر ؛ وهو ابن أبى عَقِب :

وعِندَ غَنِىٍّ قَطرةٌ مِن دِمائِنـــا ... وفى أسدٍ أخرى تعَدُّ وتُذْكرُ

قال : وزعموا أنّ العبّاس بن علىّ قال لإخوته من أمّه: عبد الله، وجعفر

وعثمان : يا بني أمّي، تقدّموا حتى أرثكم ، فإنه لا ولدَ لكم ، ففعلوا ، فقتلوا . وشدّ هانئ بن ثُبيت الحضرميّ على عبد الله بن عليّ بن أبي طالب فقتله ، ثمّ شدّ على جعفر بن عليّ فقتله وجاء برأسه ، ورمى خَوَلىُّ بن يزيد الأصبحيّ عثمانَ بن عليّ بن أبي طالب بسهم ، ثم شدّ عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله ، وجاءَ برأسه ، ورمى رجلٌ من بني أبان بن دارم محمد بن عليّ بن أبي طالب فقتله وجاء برأسه .

قال هشام: حدّثني أبو الهُذَيل — رجلٌ من السَّكون — عن هانئ بن ثبيت الحضرميّ ، قال : رأيتُه جالسًا في مجلس الحضرميّين في زمان خالد بن عبد الله وهو شيخ كبير ؛ قال : فسمعتُه وهو يقول : كنت ممن شهد قتلَ الحسين ، قال : فوالله إني لواقف عاشرَ عشرة ليس منّا رجل إلا على فرس ، وقد جالت الخيلُ وتصعصعتْ ، إذ خرج غلامٌ من آل الحسين وهو مُمسك بعُود من تلك الأبنية ، عليه إزار وقميص ، وهو مذعور ، يتلفّت يمينًا وشمالاً ، فكأني أنظر إلى دُرّتين في أذنيه تذبذبان كلما التفَتَ ، إذْ أقبل رجل يركض ، حتى إذا دنا منه مالَ عن فرسه ، ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف .

قال هشام : قال السَّكونيّ : هانئ بن ثُبَيت هو صاحب الغلام ، فلما عُتب عليه كنّى عن نفسه .

قال هشام : حدّثني عمرو بن شمر ، عن جابر الجُعْفيّ ، قال : عطش الحسين حتى اشتدّ عليه العطش ، فدنا ليشرب من الماء ، فرماه حصين بن تميم بسهم ، فوقع في فمه ، فجعل يتلقّى الدمَ من فمه ، ويَرمي به إلى السماء ، ثم حَمِد الله وأثنى عليه ، ثمّ جمع يديه فقال : اللهم أحصِهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تَذَرْ على الأرض منهم أحداً .

قال هشام ، عن أبيه محمد بن السائب ، عن القاسم بن الأصبغ بن نُباتة ، قال : حدّثني من شهد الحسينَ في عسكره أنّ حسينًا حين غُلب على عسكره ركب المسنّاة يريد الفرات ، قال : فقال رجل من بني أبان بن دارم : وَيْلكم! حُولوا بينه وبين الماء لا تتامّ إليه شيعته ؛ قال : وضرب

فرسه ، وأتبعه الناس حتى حالوا بينه وبين الفرات ، فقال الحسين : اللهمّ أظْمِهِ ، قال : وينتزع الأبانىّ بسهم ، فأثبتَه فى حنك الحسين ، قال : فانتزع الحسين السهمَ ، ثمّ بسط كفّيه فامتلأتْ دماً ، ثم قال الحسين : اللهمّ إنى أشكو إليك ما يُفْعل بابن بنتِ نبيّك ؛ قال : فوالله إنْ مكث الرجل إلا يسيرًا حتى صبّ الله عليه الظمأ ، فجعل لا يَروَى .

قال القاسم بن الأصبغ : لقد رأيتُنى فيمن يروّح عنه والماء يبرّد له فيه السُّكّر وعِساس فيها اللبن ، وقِلال فيها الماء ، وإنه ليقول : وَيْلكم ! اسقُونى قتلنى الظمأ ، فيعُطَى القُلّة أو العُسّ كان مروياً أهل البيت فيشربه ، فإذا نزعه من فيه اضطجع الهُنَيْهةَ ثم يقول : وَيْلكم ! اسقونى قتلنى الظمأ ؛ قال : فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى انقدّ بطنُه انقداد بطن البعير .

قال أبو مخنف فى حديثه : ثم إنّ شَمِر بن ذى الجوشن أقبلَ فى نفرٍ نحو من عشرة من رجّالة أهل الكوفة قبَل منزل الحسين الذى فيه ثَقَله وعيالُه ، فمشى نحوَه ، فحالوا بينه وبين رَحْلِه ، فقال الحسين : ويلكم ! إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون يومَ المعاد ، فكونوا فى أمر دنياكم أحراراً ذوى أحساب ، امنعوا رَحْلى وأهلى من طَغَامكم وجُهّالكم ؛ فقال ابن ذى الجوْشن : ذلك لك يابن فاطمة ؛ قال : وأقدَم عليه بالرجّالة ، منهم أبو الجَنوب — واسمه عبد الرحمن الجُعفىّ — والقَشْعَم[1] بن عمرو بن يزيد الجعفىّ ، وصالح بن وهب اليزَنىّ ، وسنان بن أنس النخَعىّ ، وخَوَلىّ بن يزيد الأصبحىّ ، فجعل شمر ابن ذى الجوشن يحرّضهم ، فمرّ بأبى الجَنوب وهو شاكٍ فى السلاح فقال له : أقدِم عليه ؛ قال : وما يمنعك أن تقدم عليه أنت ! فقال له شمِر : ألِى تقول ذا ! قال : وأنت لى تقول ذا ! فاستبّا ، فقال له أبو الجَنوب — وكان شجاعاً : والله لهممتُ أن أخضخضَ السنان فى عينك ؛ قال : فانصرف عنه شمر وقال : والله لئن قدرتُ على أن أضرّك لأضرنّك قال : ثمّ إنّ شمر بن ذى الجوشن أقبل فى الرجّالة نحو الحسين ؛ فأخذ الحسين يشدّ عليهم فينكشفون عنه . ثم إنهم أحاطوا به إحاطةً ، وأقبل إلى الحسين غلام من أهله ، فأخذتْه أخته

(١) س : « والقشعمىّ » .

زينب ابنة عليّ لتحبسه ، فقال لها الحسين : احبسيه ، فأبى الغلام ، وجاء يشتدّ إلى الحسين ، فقام إلى جنبه ؛ قال : وقد أهوى بحر بن كعب بن عبيدالله — من بني تيْم الله بن ثعلبة بن عكابة — إلى الحسين بالسيف ، فقال الغلام : يابن الخبيثة ، أتقتل عمّي ! فضربه بالسيف ، فاتقاه الغلام بيده فأطنّها إلا الجلدة ، فإذا يده معلّقة ، فنادى الغلام : يا أمّتاه ! فأخذه الحسين فضمّه إلى صدره ، وقال : يابن أخي ؛ اصبر على ما نزل بك ، واحتسب في ذلك الخير ، فإنّ الله يُلحقك بآبائك الصالحين ؛ برسول الله صلى الله عليه وسلم وعليّ بن أبي طالب وحمزة وجعفر والحسن بن عليّ ؛ صلى الله عليهم أجمعين .

قال أبو مخنف : حدّثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : سمعت الحسينَ يومئذ وهو يقول : اللهمّ أمسك عنهم قَطْرَ السماء ، وامنعهم بركاتِ الأرض ، اللهمّ فإنْ متّعتهم إلى حينٍ ففرّقهم فِرَقا ، واجعلهم طرائقَ قِدَداً ، ولا تُرْضِ عنهم الوُلاة أبداً ، فإنهم دَعَوْنا لينصرونا ، فعَدَوْا علينا فقتلونا . قال : وضارب الرّجّالة حتى انكشفوا عنه ؛ قال : ولما بقي الحسين في ثلاثة رهط أو أربعة ، دعا بسراويلَ محقّقة[1] يلمع فيها البَصَر ، يمَانيّ محقّق ، ففزره ونكثه[2] لكيلا يسلَبه ، فقال له بعض أصحابه : لو لبست تحته تُبّاناً[3] ! قال : ذلك ثوب مذلّة ، ولا ينبغي لي أن ألبسه ؛ قال : فلما قتِل أقبل بحر بن كعب فسلبه إياه فتركه مجرّداً .

قال أبو مخنف : فحدّثني عمرو بن شعيب ، عن محمد بن عبد الرحمن أنّ يدَيْ بحر بن كعب كانتا في الشتاء تنضحان الماء ، وفي الصيف تيْبسان كأنهما عود .

قال أبو مخنف : عن الحجّاج[4] ، عن عبدالله بن عمّار بن عبد يغوث البارقيّ ،

---

(١) ثوب محقق : محكم النسج .

(٢) نكثه ، أي نقض نسجه .

(٣) التبان كرمّان : سراويل صغيرة مقدار شبر يستر العورة .

(٤) ط : « الحجاج بن عبد الله » ، وهو خطأ ؛ وانظر الفهرس .

وعُتِيب على عبد الله بن عمّار بعد ذلك مشهده قتل الحسين ، فقال عبد الله بن عمار : إنّ لي عند بني هاشم لَيَداً ، قلنا له : وما يَدُك عندهم ؟ قال : حملتُ على حسين بالرُّمح فانتهيت إليه ، فوالله لو شئت لطعنته ، ثم انصرفتُ عنه غيرَ بعيد ، وقلت : ما أصنع بأن أتولّى قتله! يقتله غيري . قال : فشدّ عليه رجّالة ممّن عن يمينه وشماله ، فحمل على مَن عن يمينه حتى ابذعرّوا ، وعلى مَن عن شماله حتى ابذعرّوا ، وعليه قميص له من خزّ وهو معتمّ ؛ قال : فوالله ما رأيت مكسوراً[1] قطّ قد قتِل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ، ولا أمضى جَناناً ولا أجرأ مقدماً منه ، والله ما رأيتُ قبلَه ولا بعدَه مثلَه ؛ أن كانت الرّجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله انكشافَ المِعزَى إذا شدّ فيها الذئب ؛ قال : فوالله إنه لكذلك إذ خرجتْ زينبُ ابنة فاطمة أخته ، وكأني أنظر إلى قُرْطها يجول بين أذنيها وعاتقها وهي تقول : ليت السماء تطابقتْ على الأرض ! وقد دنا عمر بن سعد من حسين ؛ فقالت : يا عمر بن سعد ، أيُقتَل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه ! قال : فكأني أنظر إلى دموع عمرَ وهي تسيل على خدّيه ولحيته ؛ قال : وصرف بوجهه عنها .

قال أبو مخنف : حدّثني الصَّقْعب بن زهير ، عن حُميد بن مسلم ، قال : كانت عليه جُبَّة من خزّ ، وكان معتمّاً ، وكان مخضوباً بالوَسِمة ، قال : وسمعته يقول قبل أن يُقتَل ، وهو يقاتل على رجليه قتالَ الفارس الشجاع يتّقي الرمية ، ويفترص[2] العورة ، ويشدّ على الخيل ، وهو يقول : أعلى قتلي تَحاثّون ! أمَا والله لا تَقتُلون بعدي عبْداً من عباد الله اللهُ أسخطَ عليكم لقَتْله منّي ؛ وايم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ، ثمّ ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون ، أمَا والله أن لو قد قتلتموني لقد ألقى الله بأسكُم بينكم ، وسفك دماءَكم ، ثم لا يَرضَى لكم حتى يضاعفَ لكم العذاب الأليم . قال : ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ، ولكنهم كان يتقي بعضهم ببعض ، ويحبّ هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء ؛ قال :

---

(١) المكسور : الكسير المنهزم . (٢) افترص العورة : انتهزها .

فنادى شمر فى الناس : وَيْحكم ؛ ماذا تنظرون بالرجل! اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم! قال: فحُمل عليه من كلّ جانب ، فضُربت كفُّه اليُسرى ضربةً ، ضربها زُرْعة بن شريك التميميّ ، وضُرِب على عاتقه ، ثم انصرفوا وهو ينوء ويكبو ؛ قال: وحمل عليه فى تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النَّخَعىّ فطعنه بالرّمح فوقع ، ثم قال لخوَلىّ بن يزيد الأصبحىّ : احتزّ رأسه ، فأراد أن يفعل، فضَعُف فأرعد، فقال له سنان بن أنس: فتّ الله عَضُديك[1] ، وأبان يدَيْك! فنزل إليه فذبحه واحتزّ رأسه، ثم دفع إلى خوَلىّ بن يزيد ، وقد ضُرب قبل ذلك بالسيوف .

قال أبو مخنف ، عن جعفر بن محمد بن علىّ ، قال : وُجد بالحسين عليه السلام حين قُتل ثلاثٌ وثلاثون طعنة وأربعٌ وثلاثون ضربة ؛ قال : وجعل سنان بن أنس لا يدنو أحدٌ من الحسين إلاّ شدّ عليه مخافة أن يُغلب على رأسه ، حتى أخذ رأسَ الحسين فدفعه إلى خوَلى ؛ قال : وسُلِب الحسينُ ما كان عليه ، فأخذ سراويله بحر بن كعب ، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته ــ وكانت من خزّ ؛ وكان يسمّى بعدُ قيس قطيفة ــ وأخذ نعليه رجل من بنى أوْد يقال له الأسود ، وأخذ سيفه رجل من بنى نَهْشَل بن دارم ، فوقع بعد ذلك إلى أهل حبيب بن بُدَيل ؛ قال : ومال الناس على الوَرْس والحُلَل والإبل وانتهبوها ؛ قال : ومال الناسُ على نساء الحسين وثَقَله ومتاعه ، فأنْ كانت المرأة لتُنازِع ثوبها عن ظهرها حتى تُغلَب عليه فيُذهب به منها .

قال أبو مخنف : حدّثنى زهير بن عبد الرحمن الخثعمىّ ، أن سويد بن عمرو بن أبى المطاع كان صُرِع فأثخِن ، فوقع بين القتلى مُثخَنًا ، فسمعهم يقولون : قُتل الحسين ، فوجد إفاقةً ، فإذا معه سكّين وقد أخذ سيفه ، فقاتلهم بسكّينه ساعةً ، ثم إنه قُتل، قتله عروة بن بطار التغلبىّ ، وزيد بن رُقاد الجنبىّ ، وكان آخر قتيل .

قال أبو مخنف : حدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حُميد بن مسلم ،

---

(1) ف : « عضدك »

قال ، انتهيتُ إلى علىّ بن الحسين بن علىّ الأصغر وهو منبسِط على فراش له ، وهو مريض ، وإذا شَمِر بن ذى الجوشن فى رَجّالة معه يقولون: ألا نقتل هذا ؟ قال : فقلتُ : سبحان الله ! أنقتل الصبيانَ ! إنما هذا صبىٌّ ؛ قال : فما زال ذلك دأبى أدفع عنه كلّ مَن جاء حتى جاء عمر بن سعد، فقال : ألا لا يدخلنّ بيتَ هؤلاء النسوة أحد ، ولا يَعرِضنّ لهذا الغلام المريض ، ومَنْ أخذ من متاعهم شيئًا فليردّه عليهم . قال : فوالله ما ردّ أحد شيئًا ؛ قال : فقال علىّ بن الحسين : جُزيت من رجل خيراً ! فوالله لقد دفع الله عنى بمقالتك شرًّا ؛ قال: فقال الناس لسنان بن أنس : قتلتَ حُسين بن علىّ وابن فاطمة ابنةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قتلتَ أعظمَ العربَ خطرًا ؛ جاء إلى هؤلاء يريد أنَ يزيلهم عن ملكهم ، فأتِ أمراءَك فاطلب ثوابك منهم ، لو أعطَوْك بيوتَ أموالِهم فى قتل الحسين كان قليلاً ؛ فأقبل على فرسه ، وكان شجاعًا شاعراً ، وكانت به لُوثة ، فأقبل حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ، ثمّ نادى بأعلى صوته :

أوقِرْ ركابى فضّةً وذَهبَا ... أنا قتلتُ المَلِك المحجَّبَا

قتلتُ خيرَ الناس أمًّا وأبَا ... وخيرَهم إذْ يُنسبون نسَبا

فقال عمر بن سعد : أشهد إنك لمجنون ما صححتَ قطّ ، أدخِلوه علىّ ، فلما أدخِل حذَفه بالقضيب ثم قال: يا مجنون ، أتتكلّم بهذا الكلام ! أما والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقَك؛ قال : وأخذ عمر بن سعد عُقْبة بن سِمْعان — وكان مولًى للرَّباب بنت امرئ القيس الكلبيّة ، وهى أمّ سُكَينة بنتِ الحسين — فقال له : ما أنت ؟ قال : أنا عبدٌ مملوك ، فخلّى سبيله ، فلم ينجُ منهم أحد غيره ، إلا أن المرقّع بن ثمامة الأسدىّ كان قد نثر نبلَه وجثا على ركبتيه ، فقاتل ، فجاءه نفر من قومه ، فقالوا له : أنت آمِن ، اُخرُج إلينا ، فخرج إليهم، فلما قدم بهم عمر بن سعد على ابن زياد وأخبره خبرَه سيَّره إلى الزارة . قال : ثمّ إن عمر بن سعد نادى فى أصحابه : مَن ينْتدب للحسين ويوطئه فرسَه ؟ فانتدب عشرة: منهم إسحاق بن حَيْوَةَ الحضرمىّ ،

وهو الذى سلب قميصَ الحسين – فبرِص بعدُ – وأحبَش بن مرثد بن علقمة ابن سلامة الحضرمىّ، فأتوْا فداسوا الحسين بخيولهم حتى رَضّوا ظهرَه وصدرَه، فبلغنى أنّ أحبش بن مرثَد بعد ذلك بزمان أتاه سهمُ غَرْب[1]؛ وهو واقف فى قتال ففلَق قلبَه، فمات؛ قال: فقُتِل من أصحاب الحسين عليه السلام اثنان وسبعون رجلا، ودفَن الحسينَ وأصحابَه أهلُ الغاضريّة من بنى أسد بعد ما قُتلوا بيوم، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلا سوى الجَرحَى، فصلّى عليهم عمر بن سعد ودَفنهم؛ قال: وما هو إلا أن قتِل الحسين، فسرِّح برأسه من يومه ذلك مع خوَلىّ بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدىّ إلى عُبيد الله بن زياد، فأقبل به خوَلىّ فأراد القصر، فوجد بابَ القصر مُغلقًا، فأتى منزله فوضعه تحت إجّانة فى منزله، وله امرأتان: امرأة من بنى أسد، والأخرى من الحضرميّين يقال لها النّوار ابنة مالك بن عقرب، وكانت تلك الليلة ليلة الحضرميّة.

قال هشام: فحدّثنى أبى، عن النّوار بنت مالك، قالت: أقبل خوَلىّ برأس الحسين فوضَعَه تحت إجّانة فى الدار، ثم دخل البيت، فأوى إلى فراشه، فقلت له: ما الخبر؟ ما عندك؟ قال: جئتك بغنَى الدهر، هذا رأس الحسين معك فى الدار؛ قالت: فقلت: ويلك – جاء الناس بالذهب والفضة وجئتَ برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم! لا والله لا يجمع رأسى ورأسك بيتٌ أبداً؛ قالت: فقمت من فراشى، فخرجتُ إلى الدار، فدعا الأسديّة فأدخلها إليه، وجلستُ أنظر، قالت: فوالله ما زلت أنظر إلى نور يَسْطع مِثلَ العمود من السماء إلى الإجّانة، ورأيت طيراً بيضًا تُرفرِف حولها. قال: فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله بن زياد، وأقام عمر بن سعد يومَه ذلك والغد، ثمّ أمر حميد بن بكير الأحمرىّ فأذّن فى الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومنْ كان معه من الصبيان، وعلىّ ابن الحسين مريضٌ.

قال أبو مخنف: فحدّثنى أبو زهير العبسىّ، عن قرّة بن قيس التميمىّ،

---

(1) سهم غرب: لا يدرى راميه.

قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده صِحْن ولطمْنَ وجوههنّ. قال: فاعترضتُهن على فَرَس، فما رأيت منظراً من نسوة قطّ كان أحسنَ من منظر رأيتُه منهنّ ذلك [اليوم]، والله لهنّ أحسنُ من مَهَا يَبْرِين. قال: فما نسيتُ من الأشياء لاأنْس قولَ زينب ابنة فاطمة حين مرّت بأخيها الحسين صريعاً وهي تقول: يا محمّداه، يامحمّداه! صلى عليك ملائكةُ السماء، هذا الحسينُ بالعَراء، مرمَّل بالدماء، مقطع الأعضاء، يا محمداه! وبناتك سبايا، وذريتك مقتَّلة، تَسفِي عليها الصَّبا. قال: فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق؛ قال: وقُطف رءوس الباقين، فسُرّح باثنين وسبعين رأساً مع شَمِر بن ذى الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعزْرة بن قيس، فأقبلوا حتى قدموا بها على عُبيد الله بن زياد.

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد، عن حُميد بن مسلم، قال: دعاني عمر بن سعد فسرّحني إلى أهله لأبشّرهم بفتح الله عليه وبعافيته، فأقبلتُ حتى أتيتُ أهله: فأعلمتُهم ذلك، ثمّ أقبلت حتى أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس، وأجد الوفد قد قدموا عليه؛ فأدخلهم، وأذن للناس؛ فدخلتُ فيمن دخل، فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه، وإذا هو يَنكُت بقضيب بين ثنيّتيه ساعةً، فلما رآه زيد بن أرقم لا يُنجِم عن نَكْته بالقضيب؛ قال له: اُعْلُ بهذا القضيب عن هاتين الثنيّتين، فوالذى لا إله غيرُه لقد رأيت شفَتَيْ رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبّلهما، ثم انفضخ الشيخُ يبكي؛ فقال له ابن زياد: أبكَى الله عينيك! فوالله لولا أنك شيخ قد خَرِفتَ وذهب عقلُك لضربتُ عنقَك؛ قال: فنهض فخرج، فلما خرج سمعتُ الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتَله؛ قال: فقلت: ما قال؟ قالوا: مرّ بنا وهو يقول: ملّك عبدٌ عبداً، فاتّخذهم تُلُداً؛ أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمّرتم ابن مُرْجانة، فهو يقتل خيارَكم، ويستعبد شِرارَكم؛ فرضيتم بالذلّ، فبعداً لمن رضى بالذّل!

قال : فلما دُخل برأس حسين وصبيانه وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد لبستْ زينب ابنة فاطمة أرذل[1] ثيابها ، وتنكّرت ، وحفّتْ بها إماؤها ، فلما دخلتْ جلست ؛ فقال عبيدُ الله بن زياد : مَن هذه الجالسة ؟ فلم تكلّمه ؛ فقال ذلك ثلاثا ، كلّ ذلك لا تكلّمه ، فقال بعض إمائها : هذه زينب ابنة فاطمة ؛ قال : فقال لها عبيد الله : الحمد لله الذى فضحكم وقتّلكم وأكذَبَ أحدُوثتكم ! فقالت : الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وطهّرنا تطهيرًا ، لا كما تقول أنت ، إنما يَفتضح الفاسق ، ويكذّب الفاجر ؛ قال : فكيف رأيتِ صنعَ الله بأهل بيتك ! قالت : كُتِب عليهم القتل ، فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم ، فتحاجّون إليه ، وتخاصمون عنده ؛ قال : فغضب ابن زياد واستشاط ؛ قال : فقال له عمرو ابن حريث : أصلح الله الأمير ! إنما هى امرأة ، وهل تؤاخذ المرأة بشىء من منطقها ! إنها لا تؤاخذ بقول ، ولا تُلام على خطَل ، فقال لها ابن زياد : قد أشفى الله نفسى من طاغيتك ، والعُصاة المَردة من أهل بيتك ؛ قال : فبكتْ ثم قالت : لعَمرى لقد قتلتَ كهْلى ، وأبرتَ[2] أهلى ، وقطعت فرْعى ، واجتثثتَ أصلى ؛ فإن يَشفِك هذا فقد اشتفيت ، فقال لها عبيد الله : هذه شجاعة ، قد لعَمرى كان أبوكِ شاعراً شجاعًا ؛ قالت : ما للمرأة والشجاعة ! إنّ لى عن الشجاعة لشُغْلا ، ولكنّ[3] نَفْثى ما أقول .

قال أبو مخنف ، عن المجالد بن سعيد : إنّ عُبيد الله بن زياد لما نظر إلى علىّ بن الحسين قال لشرطىّ : انظر هل أدرك ما يدرك الرّجال ؟ فكشَط إزاره عنه ، فقال : نعم ، قال انطلقوا به فاضربوا عنقه ، فقال له علىّ : إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهنّ رجلا يحافظ عليهنّ ، فقال له ابن زياد : تعالَ أنتَ ، فبعثه معهنّ .

قال أبو مخنف : وأما سليمان بن أبى راشد ، فحدّثنى عن حُميد بن مسلم

(1) أرذل الثياب : الردىء منها .

(2) ابن الأثير : « وأبرزت » . (3) ط : « ولكنّى » .

قال : إنّي لقائم عند ابن زياد حين عرض عليه علي بن الحسين فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا عليّ بن الحسين ، قال : أو لم يقتل الله عليّ بن الحسين! فسكت ، فقال له ابن زياد : ما لك لا تتكلم ! قال : قد كان لي أخ يقال له أيضًا عليّ ، فقتله الناس ، قال : إن الله قد قتله ، قال : فسكت عليّ ، فقال له : ما لك لا تتكلم ! قال : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[1] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ﴾[2] ، قال : أنت والله منهم، وَيْحك! انظروا هل أدرك ؟ والله إنّي لأحسبه رجلاً ؛ قال : فكشف عنه مُرّيّ بن معاذ الأحمريّ ، فقال : نعم قد أدرك ؛ فقال : اقتله ؛ فقال عليّ بن الحسين : من تُوكِّل بهؤلاء النسوة ؟ وتعلقتْ به زينب عمته فقالت : يابن زياد ، حسبُك منّا ، أما رَوِيتَ من دمائنا ! وهل أبقيت منا أحدًا ! قال : فاعتنقتْه فقالت : أسألك بالله إن كنت مؤمنًا إنْ قتلتَه لمّا قتلتَني معه ! قال : وناداه عليّ فقال : يابن زياد ، إن كانت بينك وبينهن قرابة فابعث معهنّ رجلا تقيًّا يصحبهنّ بصحبة الإسلام ؛ قال : فنظر إليها ساعة، ثم نظر إلى القوم فقال : عجبًا للرّحِم! والله إنّي لأظنها ودّت لو أنّي قتلتُه أنّي قتلتُها معه ؛ دعوا الغلام ، انطلق مع نسائك .

قال حميد بن مسلم : لما دخل عبيد الله القصرَ ودخل الناسُ ، نودِيَ : الصلاة جامعة ! فاجتمع الناس في المسجد الأعظم ، فصَعد المنبَر ابن زياد فقال : الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهلَه ، ونصر أميرَ المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبَه ، وقَتَل الكذّاب ابن الكذّاب ، الحسينَ بن عليّ وشيعته ؛ فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عَفيف الأزديّ ثم الغامديّ ، ثم أحد بني والبة — وكان من شيعة عليّ كرّم الله وجهه ، وكانت عينُه اليسرى ذهبتْ يومَ الجمل مع عليّ ، فلما كان يومَ صِفّين ضُرِب على رأسه ضربةً ، وأخرى على حاجبه ، فذهبتْ عينُه الأخرى ، فكان لا يكاد يفارق المسجدَ الأعظم يصلي فيه إلى الليل ثم ينصرف — قال : فلما سمع مقالةَ ابن زياد، قال :

(١) سورة الزمر : ٤٢ .

(٢) سورة آل عمران : ١٤٥ .

يابن مرجانة ، إنّ الكذّاب ابنَ الكذّاب أنت وأبوك والذى ولّاك وأبوه : يابن مرجانة ، أتقتلون أبناء النبيّين ، وتتكلّمون بكلام الصدّيقين ! فقال ابن زياد : علىّ به ؛ قال : فوثبتْ عليه الجلاوزة فأخذوه[1] ؛ قال : فنادى بشعار الأزد : يا مبرور — قال : وعبد الرحمن بن مخنف الأزدىّ جالس — فقال : ويحَ غيرك ! أهلكت نفسك ، وأهلكتَ قومك ، قال : وحاضر الكوفة يومئذ من الأزْد سبعمائة مقاتل ؛ قال : فوثب إليه فتيةٌ من الأزد فانتزعوه فأتَوْا به أهلَه ، فأرسل إليه من أتاه به ، فقتَله وأمَرَ بصَلْبه فى السَّبَخة[2] ، فصُلب هنالك .

قال أبو مخنف : ثمّ إنّ عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة ، فجعل يُدار به فى الكوفة ، ثم دعا زَحْر بن قيس فسرّح معه برأس الحسين ورءوس أصحابه إلى يزيدَ بن معاوية ، وكان مع زحْر أبو بُردة بن عوف الأزدىّ وطارق بن أبى ظَبيان الأزدىّ ، فخرجوا حتى قدموا بها الشأم على يزيدَ بن معاوية .

قال هشام : فحدّثنى عبد الله بن يزيد بن رَوْح بن زِنْباع الجُذامىّ ، عن أبيه ، عن الغاز بن ربيعة الجُرَشىّ ؛ من حمير ، قال : والله إنا لعند يزيدَ ابن معاوية بدمشق إذ أقبل زَحْر بن قيس حتى دخل على يزيد بن معاوية ، فقال له يزيد : ويلك ! ما وراءك ؟ وما عندك ؟ فقال : أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ، وَرَدَ علينا الحسينُ بن علىّ فى ثمانية عشر من أهل بيته وستِّين من شيعته ، فسرنا إليهم ، فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حُكم الأمير عُبيدِ الله بن زياد أو القتال ؛ فاختاروا القتال على الاستسلام ؛ فعدَوْنا عليهم مع شروق الشمس ، فأحطْنا بهم من كلّ ناحية ، حتى إذا أخذتِ السيوفُ مآخذَها من هام القوم ، يَهربون إلى غير وَزَر ، ويلوذون منا بالآكام والحُفَر ، لواذاً كما لاذ الحمائم من صقر ، فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلا جَزْرَ

(١) الجلواز : الشرطى ؛ وجمعه جلاوزة .

(٢) ابن الأثير : « المسجد » .

جَزور أو نومةَ قائل حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسادُهم مجرَّدة ، وثيابُهم مرمَّلة[1] ، وخدودهم معفَّرة ، تَصهرُهم الشمس ، وتَسفى عليهم الريح ، زُوَّارهم العِقْبان والرَّخَم بقِىّ سَبْسَب[2] . قال : فدمعتْ عينُ يزيد ، وقال : قد كنت أرضَى من طاعتكم بدون قتلِ الحسين ، لعن الله ابن سُميّة ! أما والله لو أنّى صاحبه لعفوتُ عنه ، فرحم الله الحسينَ ! ولم يصله بشىء .

قال : ثمّ إنّ عبيد الله أمر بنساء الحسين وصبيانه فجُهِّزن ، وأمر بعلىّ ابن الحسين فغُلَّ بغلٍّ إلى عنقه ، ثم سرّح بهم مع مُحَفِّز بن ثعلبة العائذىّ : عائذة قريش ومع شمر بن ذى الجوشن ، فانطلقا بهم حتى قدموا على يزيد ، فلم يكن علىّ بن الحسين يكلم أحداً منهما فى الطريق كلمة حتى بلغوا ، فلمّا انتهَوا إلى باب يزيدَ رفع مُحَفِّز بن ثعلبة صوتَه ، فقال : هذا محفِّز بن ثعلبة أتى أميرَ المؤمنين باللئام الفَجَرة ، قال : فأجابه يزيد بن معاوية : ما ولدتْ أم محَفِّز شرٌّ وألأم .

قال أبو مخنف : حدّثنى الصقعب بن زهير ، عن القاسم بن عبد الرحمن مولىَ يزيد بن معاوية ، قال : لما وُضعت الرءوس بين يدىْ يزيدَ — رأسُ الحسين وأهل بيته وأصحابه — قال يزيد :

يُفَلِّقْنَ هاماً من رجال أَعِزَّةٍ ... علَيْنا وَهُمْ كانوا أعَقَّ وأَظْلَما[3]

أما والله يا حسينُ ، لو أنا صاحبُك ما قتلتُك .

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو جعفر العبسىّ ، عن أبى عمارة العبسىّ ، قال فقال يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم :

لهامٌ بجَنْبِ الطَّفِّ أَدْنَى قَرابةً ... من ابن زيادِ العبْدِ ذى الحَسَبِ الوَغْلِ

سُمَيَّةُ أمسى نَسْلها عدد الحصى ... وبنتُ رسُول اللهِ لَيْسَ لها نَسْل

---

(١) مرملة : أى ملطخة بالدم .

(٢) القى ـ من القواء ، وهى الأرض القفر الخالية . والسبسب : المفازة .

(٣) للحصين بن همام ، من المفضلية ١٢ .

قال : فضرب يزيدُ بن معاوية في صدر يحيى بن الحكَم وقال : اسكت .

قال : ولمّا جلس يزيد بن معاوية دعا أشراف أهل الشأم فأجلسهم حولَه ، ثم دعا بعليّ بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه ، فأدخلوا عليه والناس ينظرون ، فقال يزيد لعليّ : يا عليّ ، أبوك الذى قطع رَحمِى ، وجَهل حقّى ، ونازعنى سلطانى ، فصنع الله به ما قد رأيتَ ! قال : فقال عليّ : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾[1] ، فقال يزيد لابنه خالد : ارْدُد عليه ؛ قال : فما دَرَى خالد ما يردّ عليه ؛ فقال له يزيد : قل : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[2] ، ثم سكَت عنه ؛ قال : ثمّ دعا بالنساء والصبيان فأجلسوا بين يديه ، فرأى هيئةً قبيحة ، فقال : قبح الله ابنَ مرْجانة ! لو كانت بينه وبينكم رَحِم أو قرابةٌ ما فعل هذا بكم ، ولا بَعث بكم هكذا .

قال أبو مخنف ، عن الحارث بن كعب ، عن فاطمة بنت عليّ ، قالت : لما أجلِسْنا بين يدىْ يزيدَ بنِ معاوية رقّ لنا ، وأمَرَ لنا بشىء ، وألطَفَنا ؛ قالت : ثمّ إنّ رجلاً من أهل الشأم أحمرَ قام إلى يزيدَ فقال : يا أمير المؤمنين ، هبْ لى هذه – يعنينى ، وكنتُ جاريةً وَضيئةً – فأرعِدْتُ وفَرِقْتُ ، وظَنَنتُ أنّ ذلك جائز لهم ، وأخذتُ بثياب أختى زينب ؛ قالت : وكانت أختى زينب أكبرَ منّى وأعقلَ ، وكانت تعلم أنّ ذلك لا يكون ، فقالت : كذبتَ واللهِ ولؤُمتَ ! ما ذلك لك وله[3] ، فغضب يزيد ، فقال : كذبتِ واللهِ ، إنّ ذلك لى ، ولو شئتُ أن أفعلَه لفعلتُ ؛ قالت : كلاّ والله ، ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملّتنا ، وتدينَ بغير ديننا ؛ قالت : فغضب يزيد واستطار ، ثم قال : إيّاى تستقبلين بهذا ! إنما خرج من الدّين أبوكِ

(١) سورة الحديد: ٢٢ .
(٢) سورة الشورى: ٣٠ .
(٣) ابن الأثير : « ولا له » .

وأخوكِ ؛ فقالت زينب : بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدّي اهتديتَ أنتَ وأبوك وجدّك ، قال : كذبتِ يا عدّوة الله ؛ قالت : أنت أميرٌ مسلّط ، تشتم ظالمًا ، وتقهر بسلطانك ؛ قالت : فوالله لكأنه استحيا ؛ فسكتَ ، ثم عاد الشاميّ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هبْ لي هذه الجارية ؛ قال : اعزُبْ ؛ وهَبَ الله لك حتْفًا قاضيًا ! قالت : ثمّ قال يزيدُ بنُ معاوية : يانعمان بن بشير ، جهِّزْهم بما يُصلِحهم ، وابعث معهم رجلاً من أهل الشأم أمينًا صالحًا ، وابعث معه خيلا وأعوانًا فيسير بهم إلى المدينة ، ثمّ أمر بالنسوة أن يُنْزلن في دار على حِدَة ، معهنّ ما يصلحهنّ ، وأخوهنّ معهنّ عليّ بن الحسين ، في الدار التي هنّ فيها . قال : فخرجن حتى دخلن دار يزيدَ فلم تبق من آل معاوية امرأةٌ إلا استقبلتْهنّ تبكي وتنوح على الحسين ، فأقاموا عليه المناحةَ ثلاثًا ، وكان يزيد لا يتغدّى ولا يتعشى إلا دعا عليّ بن الحسين إليه ؛ قال : فدعاه ذاتَ يوم ، ودعا عمر بن الحسن بن عليّ [1] وهو غلام صغير ، فقال لعمر بن الحسن : أتقاتل هذا الفتى ؟ يعني خالداً ابنه ، قال : لا ، ولكنْ أعطِني سكينًا وأعطِه سكينًا ، ثم أقاتله ، فقال له يزيد ؛ وأخذه فضمه إليه ثمّ قال : «شِنْشِنةٌ أعرِفُها مِن أخْزَم» ؛ هل تَلِد الحيّة إلاّ حيّة ! قال : ولما أرادوا أن يخرجوا دعا يزيدُ عليّ بنَ الحسين ثمّ قال : لعن الله ابنَ مرجانة ، أما والله لو أني صاحبُه ما سألني خَصلةً أبداً إلا أعطيتُها إياه ، ولدفعتُ الحتْف عنه بكلّ ما استطعتُ ولو بهلاك بعض وَلَدي ، ولكنّ الله قضى ما رأيت ، كاتِبْني وأنْهِ كلّ حاجة تكون لك ؛ قال : وكساهم وأوْصَى بهم ذلك الرسول ؛ قال : فخرج بهم وكان يسايرهم بالليل فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طرفه ، فإذا نزلوا تنحّى عنهم وتفرّق هو وأصحابُه حولَهم كهيئة الحرَس لهم ، وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم وضوءاً أو قضاءَ حاجة لم يحتشم ، فلم يزل يُنازلهم في الطريق هكذا ، ويسألهم عن حوائجهم ، ويُلطِفهم حتى دخلوا المدينة.

وقال الحارث بن كعب : فقالت لي فاطمة بنت عليّ : قلت لأختي زينب : يا أخيّة ، لقد أحسنَ هذا الرجل الشاميّ إلينا في صحبتنا ، فهل لكِ أن نصِلَه ؟ فقالت : والله ما معنا شيء نصِلُه به إلاّ حُلِيّنا ؛ قالت

(١) ط : « عمرو بن الحسن » ، وانظر الفهرس .

لها : فنعطيه حُلِيَّنا ؛ قالت : فأخذتُ سِوارى ودُمْلُجى[1] وأخذتْ أختى سِوارَها ودُملجَها ، فبعثنا بذلك إليه ، واعتذرْنا إليه ، وقلنا له : هذا جزاؤك بصحبتك إيّانا بالحسَن من الفعل ؛ قال : فقال : لو كان الذى صنعتُ إنما هو للدنيا كان فى حليِّكن ما يرضينى ودونَه ، ولكنْ والله ما فعلتُه إلا لله ، ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال هشام : وأما عَوانة بن الحكَم الكلبىّ فإنه قال : لما قُتل الحسين وجىء بالأثقال والأسارى حتى وردوا بهم الكوفة إلى عُبيد الله ، فبينا القومُ محتبسون[2] إذ وقع حجَر فى السجن ، معه كتاب مربوط ، وفى الكتاب خرج البريد بأمركم فى يوم كذا وكذا إلى يزيدَ بن معاوية ، وهو سائر كذا وكذا يومًا ، وراجع فى كذا وكذا ، فإن سمعتم التكبيرَ فأيقِنوا بالقتل ، وإن لم تَسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله ؛ قال : فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد أُلقِىَ فى السجن ، ومعه كتاب مربوط ومُوسَى ، وفى الكتاب : أوصُوا واعهدُوا فإنما يُنتظر البريد يوم كذا وكذا . فجاء البريد ولم يُسمع التكبير ، وجاء كتاب بأن سرِّح الأسارى إلىّ . قال : فدعا عبيدالله ابن زياد محفِّز بن ثعلبة وشمر بن ذى الجَوْشن ، فقال : انطلقوا بالثقَل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ؛ قال : فخرجوا حتى قدموا على يزيدَ ، فقام مُحفِّز بن ثعلبة فنادى بأعلى صوته : جئنا برأس أحمقِ الناس وألأمِهم ؛ فقال يزيد : ما ولدتْ أمّ مُحفِّز ألأمُ وأحمقُ ، ولكنه قاطعٌ ظالم ؛ قال : فلما نظر يزيد إلى رأس الحسين ، قال :

يفلِّقن هاماً من رجالٍ أعزَّةٍ   علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلَما

ثم قال : أتدرون من أين أُتِىَ هذا ؟ قال : أبى علىٌّ خيرٌ من أبيه ، وأمّى فاطمة خيرٌ من أمه ، وجدّى رسولُ الله خيرٌ من جدّه ، وأنا خيرٌ منه وأحقّ

(١) الدملج : ما يوضع على العضد من الحلىّ .

(٢) ابن الأثير : « فى الحبس » .

بهذا الأمر منه ؛ فأما قوله: «أبوه خيرٌ من أبي» ، فقد حاجّ أبي أباه ، وعلم الناسُ أيُّهما حكم له ؛ وأما قولُه : «أمّي خير من أمّه» ، فلعَمْري فاطمةُ ابنة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم خيرٌ من أمّي ؛ وأما قوله : «جدّي خيرٌ من جدّه» ، فلعمري ما أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر يرَى لرسول الله فينا عِدْلاً ولا نِدّاً ، ولكنه إنما أتِيَ من قبَل فقهه ، ولم يقرأ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]. ثم أدخل نساء الحسين على يزيد ، فصاح نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله وولْوَلْن. ثم إنهنّ أدخلن على يزيد، فقالت فاطمة بنت الحسين — وكانت أكبرَ من سُكينةَ : أبنات رسول الله سبايا يا يزيد ! فقال يزيد : يا ابنة أخي ، أنا لهذا كنت أكره ؛ قالت : والله ما ترك لنا خُرْص[2] ،قال : يا ابنة أخي ما آتِ إليكِ أعظم مما أخِذَ منكِ ، ثم أخرجن فأدخلن دارَ يزيد بن معاوية ، فلم تبق امرأةٌ من آل يزيدَ إلا أتتهنّ ، وأقمن المأتم ، وأرسل يزيد إلى كلّ امرأة : ماذا أخذ لك ؟ وليس منهنّ امرأة تدّعي شيئاً بالغاً ما بلغ إلا قد أضعفه لها ، فكانت سكينة تقول : ما رأيتُ رجلا كافراً بالله خيراً من يزيد ابنِ معاوية . ثم أدخل الأسارى إليه وفيهم عليُّ بنُ الحسين ، فقال له يزيد : إيهِ يا عليّ ! فقال عليّ : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[3] فقال يزيد : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾[4] ثم جهزه وأعطاه مالاً ، [و]سرّحه إلى المدينة .

---

(١) سورة آل عمران:٢٦ .

(٢) الخرص : حلقة القرط .

(٣) سورة الحديد:٢٢ ، ٢٣ .

(٤) سورة الشورى: ٣٠ .

قال هشام، عن أبي مخنف ، قال: حدّثني أبو حمزة الثّمالىّ ، عن عبد الله الثّمالىّ ، عن القاسم بن بُخَيْت ، قال: لما أقبل وفدُ أهلِ الكوفة برأس الحسين دخلوا مسجد دمشق ، فقال لهم مروان بن الحكم : كيف صنعتم ؟ قالوا : ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً ، فأتينا والله على آخرهم ، وهذه الرءوس والسّبايا ، فوثب مروان فانصرف ، وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم ، فقال: ما صنعتم ؟ فأعادوا عليه الكلام ، فقال : حُجِبتم عن محمد يومَ القيامة ؛ لن أجامعكم على[1] أمر أبداً ثم قام فانصرف ، ودخلوا على يزيدَ فوضعوا الرأسَ بين يديه ، وحدّثوه الحديث . قال : فسمعتْ دَوْرَ الحديثِ هند بنت عبد الله ابن عامر بن كُرَيز — وكانت تحت يزيد بن معاوية — فتقنّعت بثوبها ، وخرجت فقالت : يا أمير المؤمنين ، أرأس الحسين بن فاطمةَ بنت رسول الله ! قال : نعم فأعْولِى عليه ، وحُدّى على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصريخة قريش؛ عجّلَ عليه ابن زياد فقتله قتله الله ! ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه ، ومع يزيد قضيبٌ فهو ينكُت به فى ثغره ، ثم قال : إنّ هذا وإيّانا كما قال الحُصَين بن الحُمَام المُرّىّ :

يفلّقن هاماً من رجالٍ أحبةٍ ... إلينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

قال : فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له أبو برزة الأسلمىّ : أتنكت بقضيبك فى ثغر الحسين ! أما لقد أخذ قضيبُك من ثغره مأخذاً ، لربّما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يرشِفه ، أما إنك يا يزيد تجىء يومَ القيامة وابن زياد شفيعك ، ويجىء هذا يومَ القيامة ومحمد صلى الله عليه وسلم شفيعه ؛ ثم قام فولّى .

قال هشام : حدّثنى عوانة بن الحكم ، قال: لما قتل عبيدُ الله بن زياد الحسينَ بن علىّ وجىء برأسه إليه ، دعا عبد الملك بن أبى الحارث السُّلَمىّ فقال : انطلقْ حتى تقدم المدينة على عمرو بن سعيد بن العاص فبشّره بقتْل الحسين — وكان عمرو بن سعيد بن العاص أميرَ المدينة يومئذ — قال : فذهب

---

(١) ف : « فى » .

ليعتلّ له ، فزجره — وكان عبيد الله لا يُصطلَى بناره — فقال : انطلق حتى تأتيَ المدينة ، ولا يسبقك الخبر ؛ وأعطاه دنانير ، وقال : لا تعتلّ ، وإن قامت بك راحلتُك فاشتر راحلة ؛ قال عبد الملك : فقدمتُ المدينة ، فلقيَني رجل من قريش ، فقال : ما الخبر ؟ فقلت : الخبر عند الأمير ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قُتِل الحسين بن علىّ ؛ فدخلتُ على عمرو بن سعيد فقال : ما وراءك ؟ فقلت : ما سَرَّ الأمير ، قُتِل الحسين بن علىّ ؛ فقال : نادِ بقَتْله ، فنادَيْت بقتله ، فلم أسمع والله واعيةً قطّ[1] مثل واعية نساء بنى هاشم فى دُورهنّ على الحسين ، فقال عمرو بن سعيد وضحك :

عجّت نساءُ بنى زياد عجّةً كعجيج نِسْوتنا غَداةَ الأَرْنب[2]

والأرنب : وقعةٌ كانت لبنى زُبيد على بنى زياد من بنى الحارث بن كعب ، من رهط عبد المدان ، وهذا البيتُ لعَمرو بن معديكرِب ، ثم قال عمرو : هذه واعية بواعية عثمانَ بن عفّان ، ثم صعد المنبَر فأعلَمَ الناسَ قتلَه .

قال هشام ، عن أبى مخنف ، عن سليمان بن أبى راشد ، عن عبد الرحمن ابن عبيد أبى الكَنود ، قال : لما بلغ عبدَ الله بن جعفر بن أبى طالب مقتل ابنيه مع الحسين ، دخل عليه بعضُ مواليه والناس يعزّونه — قال : ولا أظنّ مولاه ذلك إلا أبا اللَّسلاس — فقال : هذا ما لقِينا ودخل علينا من الحسين ! قال : فَحذَفه عبدُ الله بن جعفر بنعله ، ثم قال : يابن اللَّخناء ، أللحسين تقول هذا ! والله لو شهدتُه لأحببتُ ألاّ أفارقَه حتى أقتلَ معه ، والله إنه لمما يسخّى بنفسى عنهما ، ويهوّن علىّ المصابَ بهما ، أنهما أصيبا مع أخى وابن عمّى مواسيَيْن له ، صابرَيْن معه . ثم أقبل على جلسائه فقال : الحمد لله عزّ وجلّ على مَصرَع الحسين ، إلا تكن آستْ حسينًا يدى ، فقد آساه وَلَدى . قال : ولَمَّا أتى أهلَ المدينة مقتلُ الحسين خرجتْ ابنة عَقيل بن أبى طالب ومعها نساؤها وهى حاسرة تلوى بثوبها وهى تقول :

(١) الواعية : التى تصرخ على الميت .

(٢) اللسان ١ : ٤١٩ ، ونسبه إلى عمرو بن معديكرب ، وروايته : « بنى زبيد » .

ماذَا تقولونَ إنْ قال النبيُّ لكمْ ماذا فعلتمْ وأنتمْ آخِرُ الأُمَمِ
بعِتْرتِى وبأهلى بعدَ مُفتقَدِى منهمْ أُسارَى ومنهمْ ضُرِّجوا بدم!

قال هشام : عن عوانة ، قال : قال عُبيد الله بن زياد لعمَر بن سعد بعد قتله الحسين : يا عمر ، أين الكتاب الذى كتبتُ به إليك فى قتل الحسين ؟ قال : مضيتُ لأمرك وضاع الكتاب ؛ قال : لتجيئنّ به ؛ قال : ضاع ؛ قال : والله لتجيئنّى به ؛ قال : تُرِك والله يُقرأ على عجائز قريش اعتذاراً إليهنّ بالمدينة ، أمَا والله لقد نصحتُك فى حسين نصيحةً لو نصحتُها أبى سعد ابن أبى وقّاص كنت قد أدّيت حقه ، قال عثمان بن زياد أخو عبيد الله : صدق والله ، لَوددتُ أنه ليس من بنى زياد رجلٌ إلا وفى أنفه خِزامةٌ إلى يوم القيامة وأنّ حسيناً لم يُقتل ؛ قال : فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله .

قال هشام : حدّثنى بعض أصحابنا ، عن عمرو بن أبى المقدام ، قال : حدّثنى عمرو بن عكرمة ، قال : أصبحنا صبيحةَ قتل الحسين بالمدينة ، فإذا مولًى لنا يحدّثنا ، قال : سمعتُ البارحة مناديًا ينادى وهو يقول :

أيّها القاتلون جَهْلًا حُسيناً أبشِروا بالعذابِ والتّنْكِيل
كلُّ أهل السماء يدعو عليكمْ من نبيٍّ ومَلْأَكٍ وَقبيل[1]
قد لُعِنتمْ على لسان ابن داو دَ وموسى وحامِل الإنجيل[2]

قال هشام : حدّثنى عمر بن حيزوم الكلبىّ ، عن أبيه ، قال : سمعتُ هذا الصوت .

* * *

ذكر أسماء من قُتل من بنى هاشم مع الحسين عليه السلام
وعدد من قُتل من كلّ قبيلة من القبائل التى قاتلته

قال هشام : قال أبو مخنف : ولما قتِل الحسين بن علىّ عليه السلام جىء

(1) ط : « وملك وقبيل » .
(2) ابن الأثير : « وصاحب الإنجيل » .

برءوس مَن قتل معه من أهل بيته وشيعته وأنصاره إلى عُبيد الله بن زياد ، فجاءت كِنْدة بثلاثة عشر رأسًا ، وصاحبهم قيس بن الأشعث ، وجاءت هَوازنُ بعشرين رأسًا وصاحبهم شَمر بن ذى الجوْشن ، وجاءت تميم بسبعة عشر رأسًا ، وجاءت بنو أسد بستة أرؤس ، وجاءت مَذْحِج بسبعة أرؤس ، وجاء سائرُ الجيش بسبعة أرؤس ، فذلك سبعون رأسًا .

قال : وقُتل الحسين — وأمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم — قَتَله سنان بن أنس النَّخعىّ ثم الأصبحىّ وجاء برأسه خَوْلىّ بن يزيد ، وقُتل العباس بن علىّ بن أبى طالب — وأمه أمّ البنين ابنة حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد، قتله زيد بن رُقاد الجَنبى[1] — وحكيم بن الطفيل السِّنْبِسِىّ ، وقتل جعفر بن علىّ بن أبى طالب — وأمه أمّ البنين أيضًا — وقُتل عبدالله بن علىّ ابن أبى طالب — وأمه أمّ البنين أيضًا — وقتل عُثمان بن علىّ بن أبى طالب — وأمه أمّ البنين أيضًا — رماه خولىّ بن يزيدَ بسهم فقتله ، وقتل محمد بن علىّ بن أبى طالب — وأمه أم ولد — قتله رجل من بنى أبان بن دارم؛ وقتل أبو بكر بن علىّ بن أبى طالب — وأمه ليلى ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن رِبْعىّ بن سُلْمىّ بن جندل بن نَهْشَل بن دارم ،وقد شُكّ فى قتله — وقُتل علىّ ابن الحسين بن علىّ — وأمه ليلى ابنة أبى مرّة بن عروة بن مسعود بن معتّب الثقفىّ ، وأمها ميمونة ابنة أبى سفيان بن حرب — قتله مرّة بن مُنقذ بن النعمان العبدىّ ؛ وقتل عبد الله بن الحسين بن علىّ — وأمه الرّباب ابنة امرئ القيس ابن عدىّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عُليم من كلْب — قتله هانئ ابن ثُبيت الحضرمىّ ؛ واستصغِر علىّ بن الحسين بن علىّ فلم يُقتل، وقُتل أبو بكر بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب — وأمه أمّ ولد — قتله عبدُ الله بن عقبة الغَنَوىّ[2] ، وقُتل عبد الله بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب — وأمه أمّ ولد — قتله حرملة بن الكاهن ، رماه بسهم ؛ وقتل القاسم بن الحسن بن علىّ — وأمّه أمّ ولد — قتله سعد بن عمرو بن نُفَيل الأزدىّ ، وقتل عون بن عبد الله

(١) ابن الأثير : « زيد بن داود » .
(٢) فى ابن الأثير : « قتله حرملة الكاهن » .

ابن جعفر[1] بن أبي طالب ـ وأمه جمانة ابنة المسيّب بن نَجَبَة بن ربيعة بن رياح من بني فَزارة ـ قتله عبد الله بن قُطْبة الطائيّ ثمّ النَّبْهانيّ ، وقتِل محمد ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ـ وأمّه الخوصاء ابنة خَصَفَة بن ثقيف بن ربيعة بن عائذ بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل ـ قتَلَه عامر ابن نَهْشل التيميّ ، وقُتل جعفر بن عقيل بن أبي طالب ـ وأمه أمّ البنين ابنة الشقر بن الهضاب ـ قتله بشر بن حَوْط[2] الهمْدانيّ ، وقُتِل عبدالرحمن ابن عَقيل ـ وأمه أمّ ولد ـ قتله عثمان بن خالد بن أسير الجُهنيّ ، وقتل عبد الله بن عقيل بن أبي طالب ـ وأمه أمّ ولد ـ رماه عمرو بن صُبَيح الصدائيّ[3] فقتله ؛ وقتل مسلم بن عَقيل بن أبي طالب ـ وأمه أمّ ولد ، وُلد بالكوفة ـ وقتِل عبدالله بن مسلم بن عَقيل بن أبي طالب ـ وأمّه رُقيّة ابنة عليّ بن أبي طالب وأمها أمّ ولد ـ قتله عمرو بن صبيح الصدائيّ ؛ وقيل : قتله أسيد بن مالك الحضرميّ ، وقتل محمد بن أبي سعيد بن عقيل ـ وأمه أمّ ولد ـ قتله لقيط بن ياسر الجهنيّ ، واستُصغر الحسن بن الحسن بن عليّ ، وأمه خولة ابنة منظور بن زبّان بن سيار الفَزاريّ ، واستصغر عمر بن الحسن بن عليّ فتُرِك فلم يُقتل ـ وأمه أمّ ولد ـ وقُتِل من الموالي سليمان مولى الحسين بن عليّ ، قتله سليمان بن عوف الحضرميّ ، وقتل مُنْجِح مولى الحسين بن عليّ ، وقتل عبد الله بن بُقْطُر رضيع الحسين بن عليّ .

قال أبو مخنف : حدّثني عبد الرحمن بن جندب الأزديّ ، أن عبيد الله ابن زياد بعد قتل الحسين تفقّد أشراف أهل الكوفة ، فلم ير عبيد الله بن الحُرّ ، ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه ، فقال : أين كنت يابن الحرّ ؟ قال : كنت مريضًا ؛ قال : مريض القلب ، أو مريض البدن ! قال : أما قلبي فلم يمرض ، وأما بدني فقد منّ الله عليّ بالعافية ؛ فقال له ابن زياد : كذبتَ ؛ ولكنك كنت مع عدوّنا ؛ قال : لو كنت مع عدوّك لرُئيَ مكاني ، وما كان مثل مكاني يخفَى ؛ قال : وغفل عنه ابن زياد غفلةً ، فخرج ابن الحرّ فقعد

(1) ابن الأثير : « وقتل عون بن أبي جعفر » .
(2) ويقال « بشر بن سوط » ، وانظر ص ٤٤٧ س ٩
(3) ابن الأثير : « الصيداوي » .

على فرسه ، فقال ابن زياد : أين ابن الحرّ ؟ قالوا : خرج الساعة ؛ قال : عليّ به ؛ فأحضرت الشُّرَط فقالوا له : أجب الأميرَ ؛ فدفع فرسه ثم قال : أبلغوه أنّى لا آتيه والله طائعًا أبداً ؛ ثم خرج حتى أتى منزل أحمر بن زياد الطائيّ فاجتمع إليه فى منزله أصحابه ، ثم خرج حتى أتى كربَلاء فنظر إلى مصارع القوم ، فاستغفر لهم هو وأصحابه ، ثم مضى حتى نزل المدائن ، وقال فى ذلك :

يقولُ أميرٌ غادرٌ حقّ غادرٍ :	ألا كنتَ قاتلْتَ الشهيدَ ابنَ فاطمَهْ !
فيا نَدمى ألّا أكونَ نصرتُهُ	ألا كلُّ نفس لا تُسدّد نادِمَهْ
وإنّى لِأنّى لم أكُن من حُماتِهِ	لذُو حسرةٍ ما إن تفارقُ لازمَه
سَقَى الله أرواحَ الذين تـآزّروا	على نصرهِ سُقْيًا من الغيْثِ دائمَهْ
وقفتُ على أجْداثِهِمْ ومجالِهِمْ	فكاد الحَشَا ينفَضُّ والعينُ ساجمَه
لَعَمْرى لقد كانوا مصاليتَ فى الوَغى	سِراعاً إلى الهَيجا حُماةً خَضارِمَهْ
تـآسَوْا على نَصْر ابن بنتِ نبيِّهمْ	بـأسيافهمْ آسادَ غِيلٍ ضَراغِمَهْ
فإن يُقتلوا فكلُّ نفسٍ تقيَّة	على الأرضِ قد أضْحَت لذلك واجمَهْ
وما إن رأى الرّاءُونَ أفضلَ منهُمُ	لدى الموتِ ساداتٍ وزُهْرًا قماقِمهْ
أتقتلهمْ ظُلماً وترجو ودادَنا	فَدَعْ خُطَّةً ليست لنا بملائمهْ !
لعمرى لقد راغمتُمونا بقتلهمْ	فكم ناقِمٍ مِنَّا عليكم وناقِمَهْ
أهُمّ مِرارًا أن أسِيرَ بجَحْفَلٍ	إلى فئةٍ زاغَتْ عن الحقِّ ظالِمهْ
فَكُفُّوا وإلاّ ذُدْتُكمْ فى كَتَائبٍ	أشَدَّ عليكمْ من زُحُوفِ الديالِمَهْ

○ ○ ○

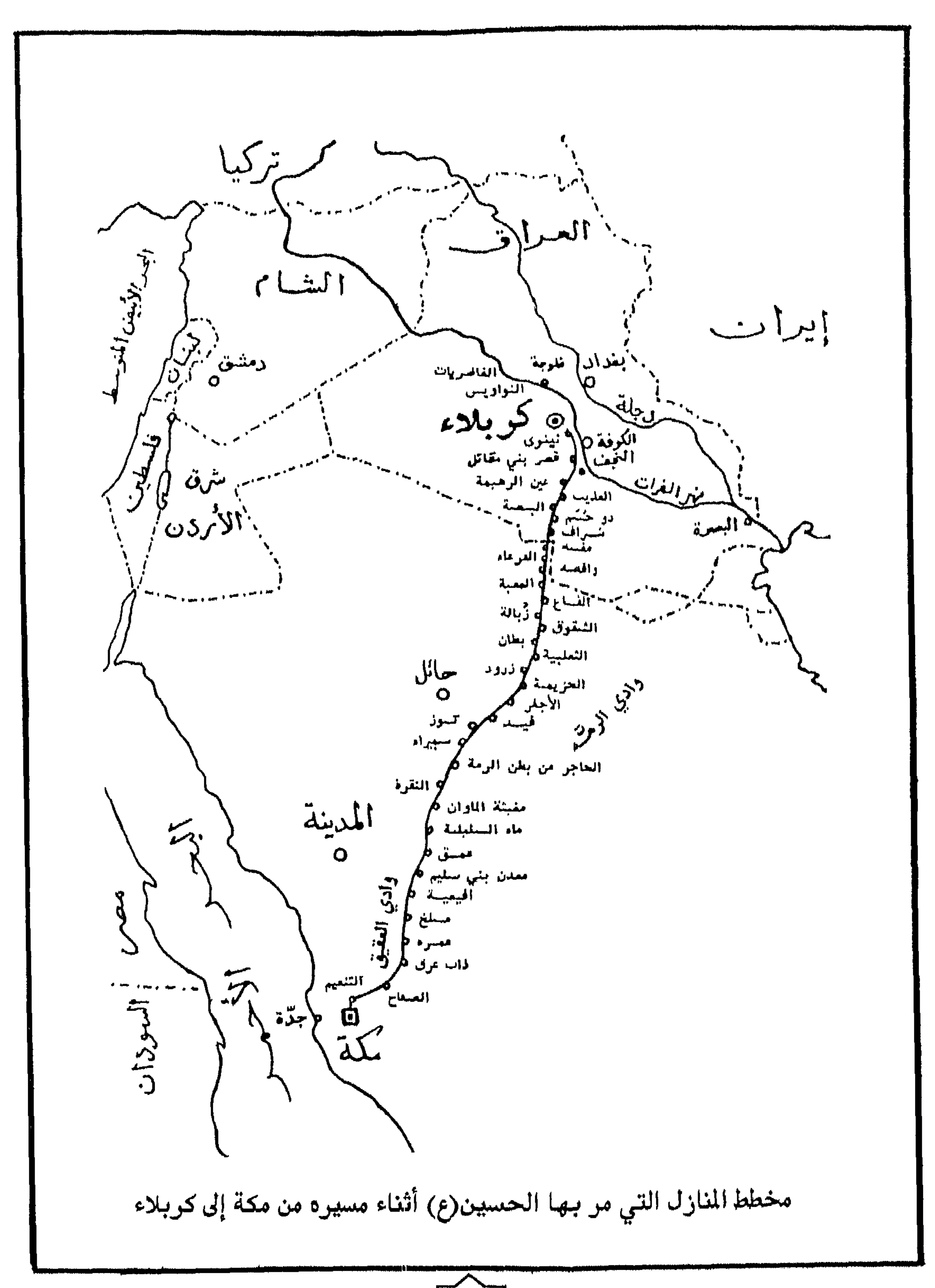
دعاء الإمام الحسين عليه السلام قبيل استشهاده:

ولما اشتد به الحال(ع) رفع طرفه إلى السماء وقال:

اللهم متعالي المكان ، عظيم الجبروت ، شديد المحال ، غني عن الخلائق ، عريض الكبرياء ، قادر على مايشاء ، قريب الرحمة ، صادق الوعد ، سابغ النعمة ، حسن البلاء. قريب إذا دعيت ، محيط بما خلقت. قابل التوبة لمن تاب إليك. قادر على ما أردت ، تدرك ماطلبت. مشكور إذا شُكرت ، ذكور إذا ذكرت . أدعوك محتاجاً ، وأرغب إليك فقيراً ، وأفزع إليك خائفاً . وأبكي مكروباً ، وأستعين بك ضعيفاً ، وأتوكل عليك كافياً. اللهم احكم بيننا وبين قومنا ، فإنهم غرّونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا، ونحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد(ص) الذي اصطفيته بالرسالة، وائتمنته على الوحي ، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً ، ياأرحم الراحمين. صبراً على قضائك يارب ، لاإله سواك ياغياث المستغيثين. مالي رب سواك ولا معبود غيرك. صبراً على حكمك ياغياث من لا غياث له ، يادائماً لا نفاذ له . يامحيي الموتى ، ياقائماً على كل نفس بما كسبت ، احكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين.



الفهرس



مخطط المنازل التي مر بها الحسين(ع) أثناء مسيره من مكة إلى كربلاء